إمارة عمران بن شاهين بالبطائح (٣٣٠-٣٧٦هـ/٩٤١-٩٨٦م)

دكتور
صلاح خليل إبراهيم سلام
أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد
كلية الآداب - جامعة حلوان

إمارة عمران بن شاهين بالبطائح

(٣٣٠-٣٧٦هـ/٩٤١-٩٨٦م)

يتناول هذا البحث تاريخ عمران بن شاهين بإعتباره أنموذجاً للصوص الذين شكلوا ظاهرة إجتماعية داخل المجتمع فى العصر العباسى، حيث كونوا عصابات لها قوتها وخطرها وهى عصابات على مستوى من التنظيم والتدريب، لها رؤساؤها وأهدافها ومبادؤها وحيلها، وكان لبعضها نظمها الأخلاقية فلم يكن أفرادها يطالبون إلا الإحتياط بما يحفظ حياتهم، ولم يتعرضوا للفقراء والنساء، بل كانوا يلاحقون التجار والأغنياء الذين منعوا الزكاة وحرصوا على الثروات الطائلة بشكل غير مشروع. وكان لظهور عمران بن شاهين فى البطائح كبير الأثر فى قيادة التمرد على الدولة العباسية والقائمين عليها والتى إنتهت بخروج البطائح من قبضة الخلافة وقيام إمارة عمران بن شاهين التى إستأثرت بموارد هذه الإمارة. وقد تم تقسيم البحث إلى ثلاث محاور بعد التمهيد، الذى يتناول الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية فى العراق والتى أفضت إلى قيام ونجاح حركة عمران بن شاهين وتأسيس الإمارة الشاهينية فى البطائح. أما المحورالأول يدور حول قيام الإمارة وصراعها مع البويهيين، والمحور الثانى نهاية الأمارة، ويتناول المحور الأخير ذهنيات العوام فى البطائح .

تمهيد

بدأ الإنحلال يدب فى الدولة العباسية منذ وُلى المتوكل على الله بن المعتصم الخلافة (٢٣٢- ٢٤٧هـ / ٨٤٦- ٨٦١ م). فظهرت عوارضه فى أطرافها نتيجة للخلل الذى اعترى قلبها. ودخلت مرحلة جديدة من تاريخها، أعنى بها مرحلة العصر العباسى الثانى الذى اتصف بميزات أهمها : – سيطرة الأتراك على الخلافة العباسية بعدما ازداد نفوذهم منذ عهد المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤٢م). ولم يقتصر هذا النفوذ على عاصمة الخلافة فحسب، بل تعداها إلى الأطراف حينما بدأ الخلفاء العباسيون يمنحون قادتهم الأتراك إقطاع الولايات مقابل مبالغ معينة يدفعونها للخلافة .

أسفرت تلك السياسة عن إضعاف هيبة الخلافة العباسية، فكثير من الخلفاء فى العصر العباسى انتهى أمرهم، إما بالقتل أو بالخلع. ودليلنا على ذلك إغتيال الأتراك للمتوكل سنة ٢٤٧هـ / ٨٦١ م. أصبح الأتراك منذ هذه الحادثة يتحكمون فى شئون الحكم، بل فى رقاب الخلفاء أنفسهم. قال ابن طباطبا : (١) "أن الأتراك كانوا قد استولوا منذ قتل المتوكل على المملكة واستضعفوا الخلفاء. كان الخليفة فى يدهم كالأسير إن شاؤوا أبقوه، وإن شاؤوا قتلوه". وعندما تولى الخلافة المعتز بالله (٢٥٢- ٢٥٥هـ / ٨٦٦ -٨٨٩ م) لم يكن له فيها من أمر طيلة السنوات التى قضاها فى الخلافة. وحينما توفى المكتفى بالله (٢٨٩ - ٢٩٥هـ / ٩٠٢ - ٩٠٨م) اعترض الأتراك على عبد الله ابن المعتز لأنه رجل مثقف، قد تجاوز الخمسين من عمره، وولوا مكانه جعفر بن المعتضد وهو"ابن ثلاثة عشر سنة وكثر كلام الناس فيه " (٢) ولقبوه المقتدر بالله (٢٩٥- ٣٢٠هـ / ٩٠٨ - ٩٣٢ م). فازدادت الخلافة ضعفاً فى عهده. وقد لخص ابن طباطبا تردى أحوال الخلافة العباسية بقوله : "خربت الدنيا فى أيامه، وخلت بيوت المال، واختلفت الكلمة " (٣) .

لا غرو؛ بعد هذا أن تضيع هيبة الخلافة، وأن يجترىء عليها القادة الأتراك. وتخبرنا المصادر أن القائد مؤنس الخادم كان أشدهم جرأة على الخلافة العباسية، وظل يتربص الدوائر بالمقتدر إلى أن تمكن منه سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٢ م، فقتله شر قتلة. يقول ابن الأثير أن عساكر مؤنس اعترضت الخليفة المقتدر "وضربه أحدهم بسيفه على عاتقه فسقط إلى الأرض، وذبحه بعضهم ...فلما قتلوه رفعوا رأسه على خشبة وهم يكبرون ويلعنونه، وأخذوا جميع ما عليه حتى سراويله وتركوه مكشوف العورة إلى أن مر به رجل من الأَكرة فستره بحشيش ثم حفر له موضعه ودفن وعُفى قبره" (٤). لم يكن حال من جاء بعد المقتدر أحسن منه. فقد خلع القادة الأتراك القاهر بالله (٣٢٠- ٣٢٢هـ /٩٣٢-٩٣٤ م) (٥) والراضى بالله (٣٢٢ – ٣٢٩ هـ / ٩٣٤ – ٩٤٠ م) (٦) . ومما زاد الأمر إدباراً أن الخليفة الراضى استدعى محمد بن رائق سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٦ م وسلمه مقاليد الأمور (٧)، وكلفه بتدبير أعمال الخراج وأرزاق الجند ببغداد، والإشراف على الدواوين. وقلده إمارة الجيش "ولقبه بـ "أمير الأمراء" ثم "أمر بأن يخطب له على جميع المنابر"(٨). ويذكر أحد المؤرخين المحدثين أن ظهور نظام إمرة الأمراء نجم عنه تداعى نظام الخلافة بعد تجريده من سلطاته وإهدار رسومه التى اكتسبها عبر تجارب سياسية طويلة. ونجم عن ذلك إبتداع نظماً "ديكتاتورية" لم تكن لها سابقة فى التاريخ الإسلامى (٩).

أفضت هذه الصلاحيات التى منحت لأمير الأمراء إلى تقليص نفوذ الوزير، فلم يبق له من الوزارة إلا اسمها. وصار أمير الأمراء هو المتصرف فى أمور الدولة وأموالها، وهو الذى يخصص للخليفة ما يكفيه من النفقات، وفى هذا الصدد يقول ابن الأثير: "وبطلت الدواوين من ذلك الوقت وبطلت الوزارة فلم يكن الوزير ينظر فى شىء من الأمور، إنما كان ابن رائق وكاتبه ينظران فى الأمور جميعها وكذلك كل من تولى إمرة الأمراء بعده، وصارت الأموال تحمل إلى خزائنهم فيتصرفون فيها كما يريدون ويطلقون للخليفة ما يريدون وبطلت بيوت الأموال" (١٠).

كما فشت ظاهرة الإستقلال السياسى فى سائر الولايات التى كانت تابعة للدولة العباسية نتيجة لضعف الخلافة حيث "لم يبق للخليفة غير بغداد وأعمالها"(١١)، وكان معظم حكام هذه الإمارات المستقلة من كبار العسكر التركى(١٢). وفى هذا الصدد ظهرت الدولة البويهية. ففى سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م وصلت جيوش أحمد بن بويه إلى بغداد بعدما استولى على أقاليم متعددة من فارس وأهوازالعراق مستغلاً ضعف الخليفة العباسى المستكفى بالله الذى استقبله واحتفى به، وأعطاه "إمارة الأمراء"، ولقبه "معز الدولة"، ولقب أخويه علياَ وحسناً بلقبى "عماد الدولة" و "ركن الدولة" وأمر أن تضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم (١٣). انفرد بنو بويه بالسلطة والنفوذ منذ سنة ٣٣٤هـ وحتى قيام الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢. ٤٦٧ هـ / ١٠٣١ – ١٠٧٤ م) بالخطبة للسلجوقى طغرلبك الذى دخل بغداد سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م، وألقى القبض على الملك الرحيم أبو نصر خسرو آخر سلاطين بنى بويه (١٤).

رافق حالة الإضطراب السياسيى الذى أصاب الخلافة العباسية تفاقم المشكلات الإقتصادية – الإجتماعية ؛ من جراء سيادة النظام الإقطاعى، إذ تشير النصوص إلى ضياع الجند والخلفاء والوزراء والأمراء (١٥)، فضلاً عن إقطاع الجوارى فى أوائل سنى تسلط الأتراك (١٦). كما تشير كذلك إلى تقلص هذه الضياع فى العصر البويهى منذ إمارة معز الدولة، يؤيد ذلك روايتين لمسكويه فيذكر فى الأولى: "وعقدت النواحى الخارجة من الإقطاعات على طبقتين من الناس إحدهما أكابر القواد والجند والأخرى أصحاب الدراريع والمتصرفون" (١٧)؛ أما الثانية فيقول: "فأقطع – معز الدولة – قواده وخواصه وأتراكه ضياع السلطان، وضياع المستترين، وضياع ابن شيرزاد، وحق بيت المال فى ضياع الرعية. وصار أكثر السواد مغلقاً؛ وزالت أيدى العمال عنه، وبقى اليسير منه من المحلول فضمن واستغنى عن أكثر الدواوين" (١٨). كذلك قام بختيار بن معز الدولة بمصادرة الكثير من إقطاعات

الجند، وعوضهم بالرواتب والأعطيات، لذلك شغبوا عليه وحاولوا عزله (١٩)، ومضى عضد الدولة فى نفس السياسة ؛ فحول الأرض إلى أرض خراجية تقتسم الدولة ريعها مع مزارعيها، وقد إنعكست نتائج هذه السياسة على زيادة تحكم البويهيون فى أشكال الملكيات فى الإطار الذى يخدم مصالحهم السياسية (٢٠). وقد أدى ذلك إلى تدهور الزراعة نتيجة جهل العسكر بأساليب الزراعة وتقنياتها وإهمالهم شئون الرى، فضلاً عن إعتمادهم على الوكلاء الذين كانوا يغيرون على الأراضى المملوكة لغير العسكر. وترتب على ذلك هجرة المزارعين وتخريب الأرض الزراعية. وخير شاهد على تدهور الزراعة، قول مسكويه : "وكانت الأصول تذوب على مر السنين ودرست العبر القديمة وفسدت المشارب وبطلت المصالح وأتت الجوائح على التناء –الزراع– ورقت أحوالهم فمن بين هارب جال وبين مظلوم صابر لا ينصف وبين مستريح إلى تسليم ضيعته إلى المقطع ليأمن شره ويوافقه" (٢١). والمصادر الخاصة بتاريخ المشرق حافلة بأمثلة ضافية عن المجاعات، والأمراض القاتلة، وغلاء الأسعار والكوارث الطبيعية مثل الفيضانات التى قضت على أعداد كبيرة من السكان (٢٢) إلا أن اضطراب الوضع السياسى على المستويين الداخلى والخارجى؛ وتراجع النشاط الزراعى ومن ثم النشاط التجارى، ومحاولة معالجة العجزالمالى عن طريق الإبتزاز وكثرة الضرائب؛ أدى إلى فساد الأحوال الإقتصادية (٢٣).

تجلى هذا الفساد الإقتصادى فى مظاهر كثيرة، نذكر أهمها فيما يلى :–

١– شره قادة الجيش للمال وافقارهم لخزينة الدولة : ففى السنة التى دخل فيها معز الدولة بغداد طالبه الجنود بالأموال، فلما أخرها عنهم شاغبوا عليه "وأسمعوه المكروه ... فاضطر إلى خبط الناس وأخذ الأموال من غير وجوهها"(٢٤). وقد ثار كبار قادة الديلم على بختيار بن معز الدولة، وفى ذلك قال مسكويه: "وازدادوا تباعداً فى الإشتطاط عليه، وفى الإشتداد

بالمطالبة إلى أن نزل على بعض حكمهم وأعطاهم ثلث رزقه غير محتسب به" (٢٥) ؛ وكان القادة الأتراك يشاهدون عن كثب الأموال التى تغدق على جنود الديلم فأبوا إلا أن ينالوا نصيبهم منه ولو كان ذلك عن طريق سفك الدماء وإزهاق الأرواح، وكثيراً ما كان الحكام يستجيبون لمطالبهم إذ كان إفقارهم للخزينة وزيادة المغارم على الرعية أهون عليهم من بطش جنودهم بهم خاصة إذا اتفق الأتراك والديلم على ألا يعارض كل فريق منهم صاحبه جميع ما التمسوه من وسائل للحصول على المال ؛ يؤيد ذلك رواية لإبن مسكويه إذ يقول : "اضطر- بختيار - إلى مناظرة وزرائه على الإحتيال لهذا المال والنظر فى جمعه من أين كان وكيف كان" (٢٦). وليس أدل على هذا الشره من مطالبة بختيار الخليفة المطيع لله بمال يوهمه بقيامه بالغزو فأجابه الخليفه قائلاً : "بأن الغزو يلزمنى إذا كانت الدنيا فى يدى إلى تدبير الأموال والرجال، وأما الآن وليس لى منها إلا القوت القاصر على كفائى وهى فى أيديكم وأيدى أصحاب الأطراف فما يلزمنى غزو ولا حج ولاشىء مما تنتظر الأمة فيه ... فإن أحببتم أن أعتزل إعتزلت" وفى النهاية اضطر تحت الوعيد إلى الإلتزام بتقديم أربعمائة ألف درهم باع بها ثيابه وبعض أنقاض داره وشاع الخبر ..أن الخليفة صودر" (٢٧) .

٢- تبذير السلاطين و الوزراء وكبار المسئولين : ومن مظاهر هذا التبذير ؛ أن معز الدولة أنفق على قصره الذى بناه فى موضع المسناة المعزية شمال بغداد "ثلاثة عشر ألف ألف درهم" (٢٨)، ويذكر المقدسى أن عضد الدولة بنى داراً بشيراز لم يُرَ مثلها فى شرق ولا غرب (٢٩)، كما قام بعمارة قصر الخلافة وتجديد "فرشها وآلاتها وترتيب أسباب الخدمة فيها والتزم فى ذلك مالاً جليلاً"(٣٠). وقد اقتدى الوزراء وكبار المسئولين بالسلاطين فى أساليب البذخ وما تستلزمه من تبذير واسراف، ونضرب على ذلك مثلاً بالوزير ابن الفرات

فقد وصف لنا الصابى مائدته، وما كان يوضع عليها من أوانى الذهب والفضة والبلور، وكانت "الألوان من الطعام والشراب توضع وترفع أكثر من ساعتين "فإذا انتهى الوزير وصَحْبُه من طعامهم وقاموا لغسل أيديهم، وجدوا الخدم على أيدهم المناديل الدّبَقِيَة ورطيات ماء الورد لمسح أيديهم وصبه على وجوههم" (٣١). وفى أخبار الوزير أبو محمد المهلبى وزير معز الدولة، وأبى الفضل العباس بن الحسين، ومحمد بن بقية وزيرا بختيار وغيره أمثلة كثيرة من هذا القبيل (٣٢).

٣- الرشوة واستغلال النفوذ : وقد حصل هؤلاء الوزراء على القسم الأكبر من ثروتهم عن طريق الرشوة واستغلال النفوذ. ومن أمثلة ذلك ما ذكره مسكويه عن وزراء معز الدولة إذ يقول : "ثم سامح الوزراء المقطعين وقبلوا منهم الرُشى وأخذوا المصانعات فى البعض وقبلوا الشفاعات فى البعض" (٣٣)، ويذكر الصابى أن ابن الفرات "سرق ... سبعمائة ألف دينار" من أرزاق الجند (٣٤). وليس من العجب فى شىء أن يتعاظم نفوذ أصحاب الجهاز الإدارى القائمين على الجباية، وتتضخم ثروتهم وأن يفتحوا أبواب الرشوة على مصراعيها " فمن مستضعف يصادر ويغير رسمه وتنقص معاملته على قدر حاله وماله ومن مانع جانبه فيخفف عنه الرسوم ويرتفق على ذلك منه بالأموال " (٣٥).

أما عن الحياة الإجتماعية فى هذه الفترة؛ فقد كان المجتمع العباسى يتكون من أمم وشعوب مختلفة، أهمها العرب والفرس والترك والزنج والروم وغيرهم، وبالرغم من أن هذه الشعوب انضوت جميعها تحت لواء الإسلام، فقد كانت العلاقات الإجتماعية بينها سيئة فى معظم الأحيان، كما انعدمت العدالة الإجتماعية نتيجة عدم العناية بالطبقة الفقيرة، وإن أحس إخوان الصفا بأهمية الصناع والمهنيين، وأكدوا

دورهم تبعاً لنظريتهم فى الإنتاج ، إلا أنهم قسموا الفئات الإجتماعية إلى تسع طوائف يضعون فى نهاية السلم اللصوص والمكدين وأشكالهم، كما انعدمت القيم الأخلاقية، وأصبح الأثر الدينى فى ذلك العصر أضعف من أن يبلغ الضمائر، ويتغلغل فى أعماق النفوس. وأصبح حب المال داءاً متفشياً، وغدت طائفة غير قليلة من الناس لا تبالى بالوسيلة التى جلبت بها المال بقدر ما تبالى بالمال فى حد ذاته. وهذا ما أراد الصابى الإشارة إليه فى سياق حديثه عن ابن الفرات ورجاله المكلفين بمصادرة الأموال إذ يقول : " كان الناس يعجبون من قول ابن الفرات : أريد رجلاً لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر يطيعنى حق الطاعة فأنفذه فى مُهِمةٍ لى فإذا بلغ فيه ما أرْسُمه له أحسنت إليه إحساناً يظهر عليه وأغنيه " (٣٦) ؛ نلاحظ أيضاً أن اسلوب القمع والتنكيل كان مصير الكتاب المعترضين على الطبقة الإقطاعية العسكرية "ومتى تكلم كاتب من كتاب فى شىء من ذلك ضمن ونكب واجتيح وقتل " (٣٧). وبالرغم من تفاقم المشكلات الإقتصادية والإجتماعية، انشغل الوزراء بمباهج الدنيا ؛ وصموا آذانهم عن صرخات المتظلمين " فهذا من أمير، وهذا من عامل، وهذا من قاضى، وهذا من مُتَعزِّز " (٣٨).

أسفر تفاقم المشكلات الإقتصادية – الإجتماعية عن اندلاع الثورات التى أفضت إلى ظهور الحركات الإستقلالية عن الخلافة والتى قام فيها العوام بدور أساسى. ففى الريف ظهرت تنظيمات "الصعاليك" رافضة القهر المادى والإجتماعى وهما وجهان لعملة واحدة؛ وإن إتخذوا اللصوصية وسيلة للتعبيرعن هذا الرفض(٣٩). فلم يتورع الصعاليك عن قطع الطرق، والإغارة على ضياع ودور الولاة والوزراء والقواد والقضاة وكبار التجار (٤٠). وكثيراً ما رضخت السلطات المحلية لضمان عبور تجارتها فى نظير فردة كانت تقسم بالتساوى بين الصعاليك، مع تخصيص قدر منها للمعدمين(٤١). ومن أشهر صعاليك هذا العصر ابن كبرويه، وأبو الدود، وأبو الذباب، وأسود الزبد، وأبو الأرضة، وأبو النوابح (٤٢) وابن أبى على (٤٣)، وعزيز

البابصرى (٤٤). ومن هؤلاء اللصوص عمران بن شاهين الذى سيطر على منطقة البطائح، واتخذها قاعدة لإمارته ؛ من المفيد قبل الإستطراد فى عرض أحداث ثورة عمران بن شاهين أن نلقى بعض الضوء على منطقة البطائح من الناحيتين الجغرافية والإقتصادية .

إن منطقة البطائح التى إتخذها عمران ملجأ ووسيلة للعيش واتخذها لاحقاً غيره قواعد وتحصينات لجيوشهم، عبارة عن مساحات واسعة من الأراضى المنخفضة المغمورة بالمياه الراكدة والمستنقعات، وتقع فى القسم الأسفل من الفرات بين الكوفة وواسط شمالاً والبصرة جنوباً، وهى تشمل بطائح البصرة وبطائح الكوفة وبطائح واسط. وقد حدثت البطائح من جراء فيضان نهرى دجلة والفرات وطغيانهما طغياناً هائلاً فى العصور القديمة (٤٥). تكشف المصادر المتاحة عن إختلاف أقوال الجغرافيين والكتاب العرب فى تحديد مساحة البطائح فيحدد ابن رسته (ت ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م) مساحتها بثلاثين فرسخاً فى الطول والعرض (٤٦)، أما قدامة بن جعفر (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢ م) فلم يحدد مساحتها، إلا أنه تحدث عن أرض يزيد طولها عن ٦٠ ميلاً (٤٧)، فيما قدرها المسعودى (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧ م) بخمسين فرسخاً طولاً وعرضها مثل ذلك(٤٨)؛ فتلك الإختلافات فى النصوص لم تقدم تحديداً واضحاً لمساحة البطائح ؛ وبالتالى يمكن القول استناداً إلى المصادر أن موضع قرية القطر جنوب مدينة واسط كان بمثابة بداية لخارطة البطائح، وأنها كانت تتسع وتضيق بسبب عدة عوامل منها الفيضانات لنهرى دجلة والفرات (٤٩). فضلاً عن مشاريع تجفيف المستنقعات التى قام بها كثير من ولاة الدول المتعاقبة على حكم العراق(٥٠). وتشير المصادر إلى أن هناك أنهار تصب فى البطائح بحيث تشكل مصادر مهمة من مياهها نذكر منها نهر الصليق، وعمر، و المبارك وأبى أسد (٥١)، وأبان، والسيب، وبردود اليهودى ومسامى، والغراف وجعفر، قال ياقوت : "وعلى هذا النهر

كورة فيها قرى كثيرة" (٥٢)، ونهر الصلة وبرقة ويذكر قدامة بن جعفر بأن خراجهما سبعون ألف درهم وأنهما من أهم المناطق التى تجود فيها زراعة الشعير والأرز(٥٣).

أما قرى البطائح فترتبط ارتباطاً مباشراً بالتغيرات الجغرافية والفيضانات ومدى استصلاح الأرض الزراعية، وكذلك تحويل مجارى الأنهار عن مسارها إلى مسارات جديدة. وتشير المصادر أن المدن والقرى توجد فى المناطق المرتفعة والتى تعرف بالجوامد ؛ وتعتبر مدينة الصِّليق أكبر مدن البطائح واتخذها مهذب الدولة (٣٧٦ هـ / ٤٠٨ م) عاصمة لإمارة البطائح (٥٤) ؛ ثم يليها مدينة الجامدة وهما على نهر دجلة فى المنطقة المحصورة بين واسط والبصرة، وكانت المنطقة التى بدأ فيها عمران بن شاهين ثورته على البويهيين، إذ قلده البريديون إدارتها، ومن أهم أعمالها البريونى (٥٥). كما تنتشر بعض القرى نذكر منها قرية حسان حيث تنسب إلى صاحبها "حسان النبطى" وتقع جنوب مدينة واسط (٥٦) وقرية " أم عبيدة "، والحويزة (٥٧) .

أما عن موارد البطائح الإقتصادية؛ فهى متنوعة ويعد القصب من أهم حاصلات البطائح، ويستخدم للكتابة وتوصف أقلام البوص التى تصنع منه من أجود أنواع الأقلام فى الشرق، كما استخدمه أهل البطائح فى بناء دورهم، ويدخل فى صناعة الحصير وكوقود، ويجمل ابن رسته أهمية قصب السكر لأهل البطائح إذ يقول: " وينبت فيها القصب لمنافعهم "(٥٨). كذلك اشتهرت البطائح بزراعة الأرز، وتعتبر منطقة كسكر فى شرق البطائح من أهم مناطق زراعته، كما اشتهرت البطائح بزراعة الشعير وأشجار النخيل خاصة فى المنطقة الجنوبية وعلى حافات الأنهار(٥٩). وتحتل الطيور موقعاً متقدماً فى ثروة البطائح حيث غابات الأهوار من القصب، والبردى من أهم مناطق لتكاثر الطيور(٦٠). أما الثروة الحيوانية : البقر، والجاموس، والأغنام، فقد كانت البطائح تضم عشرات الآلاف من هذه الثروة وساعد

على ذلك ملائمة البيئة الطبيعية لعيش هذه الماشية وأصبحت مصدراً هاماً من مصادر السكان (٦١). أما الأسماك فهى مصدر آخر من موارد البطيحة ؛ وليس أدل على أهمية ووفرة الأسماك فى البطيحة من رواية المقدسى إذ يقول : "أدامهم السمك ... وماء غزير وسمك" (٦٢) .

خلاصة القول – أن الإضطرابات السياسية انعكست على الحالة الإقتصادية. وأخذت عيوب النظام الإقتصادى والإجتماعى فى العصر العباسى تظهر منذ منتصف القرن الثالث الهجرى تبعاً لسوء الأحوال السياسية، ثم تفاقمت فى القرن الرابع الهجرى بسبب خروج كثير من الأقاليم عن السلطة المركزية. كما اندلعت حركات الصعاليك من العيارين والشطار لتشيع حالة من الفوضى والإضطراب عجزت الدولة عن مواجهتها. وفى هذه الأثناء ظهر عمران بن شاهين فى البطائح ذات الموارد الإقتصادية والجغرافية والإستراتيجية المتميزة .

المحور الأول : قيام الإمارة وصراعها مع البويهيين :-

مؤسس هذه الإمارة هو عمران بن شاهين ؛ فمن هو هذا الرجل الذى عُدَّ من أشهر الصعاليك فى العراق فى عصره ؟ ماهى الخطوط الكبرى فى حياته ؟ وبماذا تتميز شخصيته ؟

تجمع المصادر التى أرخت لعمران بن شاهين على أنه نشأ فى العراق، ويحدد مسكويه أنه شب فى الجامدة، ولكنها لاتسعفنا بشىء ذى بال عن مولده وطفولته. ولذلك يظل الغموض يكتنف هذه المرحلة المهمة من حياة عمران. على أننا نقدّر أنه نشأ نشأة فقيرة فقد احترف الصيد ليقتات منها. ويبدو أنه عول بعد ذلك على العمل الثورى منفرداً خصوصاً بعد ما طحنه الفقر وبرم من بذخ الأغنياء،

وانتشار الفوضى السياسية والكساد الإقتصادى وبطش الترك والديلم وارتشاء الوزراء وضعف الخلفاء. فشق طريقه بالقوة، قوة الجسد وقوة النفس والعقل، نحو حياة كريمة ؛ وفى ذلك ما يفسر لماذا أغار على التجار الذين يسلكون طرق البطيحة ونهب بضائعهم وأموالهم. وقد تعاظم خطره بعد انضام الكثيرين من الشرائح االمستضعفة لإنتزاع لقمة العيش انتزاعاً من هؤلاء التجار الموسرين، ومن يحميهم من رجال السلطة وإن كان من شيمهم ألا يعرضوا لصغار التجار التى تكون قيمتها دون ألف درهم، فضلاً عن احترامهم للمرأة، فلا تفتش ولا تسلب ولا تهان (٦٣).

إذا كان عمران حظى بتأييد عامة البطيحة وإعجابهم، فقد حظى أيضاً بإعجاب بعض المؤرخين والكتاب، وقد وجدوا فى ثورته درساً سياسياً للقائمين على السلطة، وفى تدوين أخباره شكلاً غير مباشر من أشكال احتجاج العامة على ما يمر به عصرهم من فتن واضطرابات، وعلى الرغم من أنهم سايروا التعبير الشائع عن هؤلاء المتمردين فسموهم باللصوص والشطار والعيارين وغير ذلك، وفى كل الأحوال فمعظم ما كتب عنهم من تعبيرات يجد القارىء أنها مسميات سياسية يطلقها القائمون على السلطة، لتشويه غاياتهم النبيلة ثم يشايعهم المؤرخون الرسميون فى ذلك.

لكن هذا لا يعنى أن كل من انضم إلى عمران بن شاهين كان من الشرفاء الرافضين للواقع الإجتماعى والإقتصادى والسياسى المتردى، بل اندس بطبيعة الحال بعض المشبوهين واللصوص فى سلك حركة ابن شاهين. يقول مسكويه : "وكان هذا الرجل – عمران – من أهل الجامدة وجنى جناية فهرب إلى البطيحة من سلطان الناحية فأقام بين القصب والأجام واقتصر على ما يصيده من السمك قوتاً، ثم أضطر إلى معارضة من يسلك البطيحة متلصصاً وعرف خبره جماعة من صيادى السمك فاجتمعوا إليه مع جماعة من المتلصصة هناك حتى حمى جانبه من السلطان"(٦٤).

يمكن القول أن حركة ابن شاهين بدأت تظهر على مسرح الأحداث السياسية قبيل دخول البويهيين بغداد سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٦ م، وعندما توجس خيفة من القبض عليه استأمن أبا القاسم البريدى الذى أصبحت له رئاسة البريديين فى منطقة البصرة والأهواز بعد مقتل أبيه أبى عبد الله البريدى سنة ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م. لم يجد أبوالقاسم البريدى غضاضة فى التحالف مع عمران بن شاهين، فقلده حماية الأحواز والبطائح. وفى ذلك دلالة على حرص البريدى على مشاركة عمران فيما يحصلون عليه من أسلاب، فضلاً عن مواجهة الأخطارالتى كانت تهدد البريديون المتمثلة فى توزون أمير الأمراء والبويهيين (٦٥) .

استطاع عمران من خلال تقلده أمر حماية البطائح أن ينظم أتباعه فى قوة عسكرية مماثلة لمعظم تنظيمات العيارين الفتاك فى آسيا الوسطى فى العراق والحرافيش فى مصر والصقورة فى بلاد المغرب. وكان تشكيل تنظيماتهم العسكرية عبارة عن ميلشيات عسكرية يقودها رؤساء من العرفاء والنقباء والعقداء والأمراء، ولعله من المفيد أيضاً – وله دلالته البالغة – أن عمران بن شاهين وأصحابه أصحاب خوذ البوص ودرق البوارى والرماح، قد تطوروا وتغيرت خططهم العسكرية ؛ كما اختلفت أسلحتهم عن الحركات المماثلة فى الأقاليم الإسلامية الأخرى ؛ نظراً لخصوصية الظروف الطبيعية والجغرافية للبطيحة ؛ وصعوبة التوغل فى مسالكها وأهوارها وأنهارها الضيقة، فكانت الزوارق الخفاف والسفن الصغيرة من أهم آلات الحرب التى استخدمها عمران بن شاهين وقواته فى الحروب التى خاضوها وكان لها دور فعال فى تأكيد سلطته على منطقة البطائح، كما اتخذ المعاقل على التلال تحسباً لأى عدوان خارجى (٦٦) .

وقائع الصراع مع البويهيين :

يمكن القول أن مواقف عمران بن شاهين تغيرت، فقد استهدف النظام المالى نتيجة الشطط فى فرض الضرائب فامتنع عن أداء الأموال المفروضة على البطيحة وانفاقها على أنصاره مكوناً جيشاً مكنه من الإستقلال بالبطيحة، عندئذ تحالف مع البريديين ضد البويهيين، لكن لم يلبث هذا التحالف أن هوى نتيجة نجاحات معز الدولة فى السيطرة على بغداد سنة ٣٣٤هـ، ثم استطاع معز الدولة فى سنة ٣٣٦هـ / ٩٤٧ م هزيمة البريديين، فأضطرأبو القاسم البريدى إلى الهرب إلى هجر عاصمة القرامطة، ومن ثم سقطت إمارة البريديين فى يد معز الدولة الذى سيطر على البصرة، وصار مواجهاً لعمران بن شاهين الذى ازداد قوة بانحياز العوام إليه لمناوءة البويهيين (٦٧).

واصل عمران بن شاهين آنذاك تحصين البطائح "واستعد بالسلاح واتخذ معاقل على التلال"، فضلاً عن الإغارات المستمرة على كبار التجار ونهب أموالهم وبضائعهم، خصوصاً المتحالفين مع معز الدولة والخليفة المطيع لله ؛ وتهديد أمن الطرق البرية والنهرية فى جنوبى العراق (٦٨) .

لذلك لم يقف معز الدولة مكتوف اليدين أمام تعاظم قوة عمران بن شاهين ؛ إذ أرسل جيشاً بقيادة وزيره إبى جعفر محمد بن أحمد الصيرمى إلى البطائح سنة ٣٣٨هـ / ٩٤٩م بهدف القضاء على عمران بن شاهين، والإستيلاء على إمارته، فإلتقى الجيشان فى عدة معارك، "وفيها أوقع الصيرمى بعمران بن شاهين دفعة بعد دفعة"(٦٩)؛ ووقع العديد من أهله وعياله فى الأسر، وعلى إثر ذلك هرب عمران واستتر داخل البطائح .

بديهى أن يلاحق الصيمرى ابن شاهين للقضاء عليه ؛ لكنه لم يفلح فى ذلك لعدة أسباب ؛ نكتفى بذكر أبرزها دون الخوض فى تفاصيلها، إذ أمر معز الدولة

وزيره الصميرى بوقف عملياته العسكرية ضد عمران والتوجه إلى شيراز لمساعدة ركن الدولة الشقيق الأصغر لمعز الدولة ؛ فضلاً عن صعوبة الخوض فى مسالك البطيحة التى تحصن بها عمران (٧٠).

عندئذ عول عمران بن شاهين على انتهاز الفرصة لإستعادة بناء قواته العسكرية ؛ لكن الصميرى لم يتركه وشأنه فبعد أن وطد الأمور فى شيراز، توجه لقتال عمران سنة ٣٣٩هـ / ٩٥٠ م فحاصر البطائح، لكنه توفى فى نفس السنة نتيجة اصابته بحمى حادة بقرية البريونى قرب مدينة الجامدة (٧١). عندئذ إختار معز الدولة أبا محمد الحسن بن محمد المهلبى وزيراً له ؛ وكانت أولى الواجبات التى كلف بها مواصلة حرب عمران للقضاء عليه، فشهدت سنة ٣٣٩هـ / ٩٥٠ م حروباً عدة بين قوات معز الدولة عمران ؛ وأول هذه المواجهات مع روزبهان قائد معز الدولة الذى حاصر البطيحة، فتحصن عمران فى معاقله بالبطيحة وطال الحصار حتى ضجر جند روزبهان فقرروا التوغل داخل البطائح والهجوم على معاقل عمران، عندئذ باغتهم الأخير بجيشه وألحقوا بهم هزيمة نكراء وغنم جميع أمواله وأسلحته وإستفاد بها فى حربه مع خصمه، لذلك تزايد ثقل قوة عمران بن شاهين فقد منحه هذا الإنتصار قوة إضافية لقدراته العسكرية بحصوله على الآلات العسكرية التى غنمها، كما أنه بعث الثقة فى جيشه لمؤازرة أميرهم(٧٢).

تطورت حركة عمران بن شاهين فكانت أكثر تنظيماً وفاعلية ؛ نتيجة لتنامى قواته؛ التى تصدت للبويهيين، فاستخفوا بجند معز الدولة وإذا "اجتاز بهم الحجاب الكبار المحتشمون والقواد والأمراء من الديلم والأتراك سفهوا عليهم" (٧٣). وحسبنا أن جنود عمران إعترضوا على منافذ الطرق التى تربط بغداد بالبصرة عبر البطائح ومطالبة كبار دولة المعز من التجار والقواد والحجاب بدفع ضريبة على ما يحملونه

من أمتعة، وهو ما يُعرف بـ "حق المرصد والبذرقة"، فإن إمتنعوا تناولوهم بالسب والضرب المهين (٧٤).

نعلم من نص لمسكويه أن عمران بن شاهين وجنوده بإغارتهم على كبار رجال معز الدولة، وسطوتهم على التجار وسلب أموال الموسرين لصالح المعدمين شكلت فى نفس الوقت ضغطاً نفسياً على هؤلاء الذين تكدست بيدهم الأموال والأراضى، وإنتصاراً لطبقة العامة الفقيرة التى كانت تعانى من الذل والفقر، ويصور مسكويه مشهد لإذلال هؤلاء الأمراء والموسرين نتيجة لتعاظم قوة عمران ابن شاهين إذ يقول : "وكثر بكاء الأمراء والحجاب والقواد بين يديه – معز الدولة – بما يجرى عليهم من الهوان فى إجتيازاتهم" (٧٥).

لذلك، وجه معز الدولة وزيره المهلبى بحرب عمران بن شاهين فسار المهلبى إلى مدينة واسط وضم إليه حملة عسكرية كبيرة مزودة بأحسن الأسلحة، وضم إليه كبار القواد مثل ابن أبى طاهر وروزبهان. تقدم هذا الجيش إلى البطائح وكانت خطته العسكرية تستهدف إغلاق المضايق المائية لمنع وصول الماء إلى البطائح بقصد تجفيف المنطقة من المياه بغية السماح للجيش الزاحف بالسير على الأقدام للوصول إلى معاقل عمران بن شاهين. لكن الأخير تجنب ملاقاة جيش المهلبى فسار فى دروب ومسالك لا يعرفها إلا هو وأصحابه (٧٦).

ونذكر فى هذا الصدد أن روزبهان أراد أن يلحق المهلبى مثل ما لحقه من الهزيمة، فإن إطالة أمد الحصار حسب الخطة التى وضعها المهلبى ربما تأتى بثمارها وينجح فى هزيمة عمران ابن شاهين ومن ثم ترتفع مكانته عند معز الدولة فكتب إلى الأخير يتهم المهلبى بالتباطوء ليحتسب بالأموال فى النفقات، وكتب معز الدولة يأمر المهلبى بالهجوم بجميع عسكره، فدخل المهلبى بجيشه البطائح فى الوقت الذى تخلف فيه روزبهان وجيشه ليصبح أول الخارجين عند الهزيمة. وحسبنا أن عمران إستثمر

تغيير المهلبى لإستراتيجيته العسكرية فنصب له الكمائن بين المضايق وشحنها بالآلات الموافقة لتلك المضايق، فهجم هو وعسكره على المهلبى فوضعوا فيهم الحراب فقتلوا جماعة وأسروا جماعة وفر روزبهان ونجا الوزير المهلبى سباحة (٧٧) .

بديهى أن يتعاظم نفوذ عمران بن شاهين بعد هزيمة المهلبى وروزبهان، وأدرك معز الدولة مدى قوة عمران وصعوبة القضاء عليه، فعقد مع عمران صلحاً سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١ م تضمن هذا الصلح إعتراف معز الدولة بعمران أميراً على منطقة البطائح، وأن يُطلق سراح الأسرى وأطلق معز الدولة سراح أخوة عمران وأسرته الذين أسرهم الصميرى سنة ٣٣٨هـ / ٩٤٩ م، كما أطلق عمران من كان فى أسره من قواد معز الدولة عند هزيمة المهلبى سنة ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م، وبذلك أصبح عمران بن شاهين أول مؤسس لإمارة البطائح (٧٨) .

إذا رصدنا العلاقات بين عمران ومعز الدولة بعد هذه الإتفاقية مباشرة، نلاحظ عدة حقائق:-

أولاً : برغم غلبة الهدف السياسى لهذه المعاهدة إلا أن عمران بن شاهين بإعتباره أميراً على البطائح ضمن بعداً سوسيو- إقتصادي وهو الهدف الذى كان يصبو إليه جميع الشرائح العامة التى إنضمت إلى عمران فى ثورته بإصلاح الخلل الإجتماعى والإقتصادى والقهر السياسى بحماية هذه الشرائح الفقيرة بالإستيلاء على أموال الأغنياء وتوزيعها على الفقراء .

ثانياً : لم تسلم طرق المواصلات من غارات ونهب وسلب عمران بن شاهين، ففى المحرم سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م هاجم قافلة تجارية قادمة من الأهواز بها أموال وأمتعة كثيرة لمعز الدولة تُقدر بحوالى مائة ألف دينار فإستولى عليها، ولم يكتف بذلك بل قبض على ملاح معز الدولة "المزعبل" وضربه ضرباً مبرحاً وصادر أمواله (٧٩).

وعندما احتج معز الدولة على تصرفات عمران وطالبه برد الأموال فرد عليه أمواله فقط وإمتنع عن رد أموال التجار وكانت أضعاف أموال معز الدولة (٨٠) .

ثالثاً : تهدد أمن الدولة البويهية من جراء أعمال السلب والنهب التى قام بها عمران بن شاهين مما أسفر عن إنفراط عقد شروط الصلح بينهما .

ترتب عن ذلك أن معز الدولة أرسل جيشاً بقيادة روزبهان ثم إنضم إليه الوزير المهلبى لتأديب عمران بن شاهين فى آواخر سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م، ويستشف من النصوص أن خلافاً وقع بين قائدى معز الدولة، ذلك أن روزبهان لم يكن جاداً لحرب عمران وأنه يضمر الشر للمهلبى، فبدلاً من توجهه نحو البطيحة سار نحو الأهواز يرافقهه عدد كبير من جنده (٨١). إستفاد عمران من هذا الخلاف فلم يشتبك مع روزبهان ولم تسفر هذه الحملة عن أية نتيجة لصالح معز الدولة (٨٢).

أسفر فشل الحملات العسكرية التى قام بها معز الدولة للقضاء على عمران بن شاهين عن تغيير خطته الإستراتيجية، إذ أخذ بسياسية التفريق بين أفراد أسرة ابن شاهين؛ يتضح ذلك من خلال استقباله سنة ٣٤٥هـ / ٩٥٦ م لأبى الفتح بن شاهين المعروف بابن العريان وحرمه وأولاده، إذ اختلف مع أخيه عمران وترك البطائح إلى واسط ثم توجه إلى بغداد حيث لقى حفاوة بالغة من معز الدولة(٨٣). وفى سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١ م استأمن أبو القاسم الأخ الثانى لعمران؛ غير أن المؤرخين القدامى ومن بينهم مسكويه وهو شاهد عيان لهذه الأحداث لم يشيروا إلى وقوف هذان الأخوان بجانب معز الدولة ضد أخيهما، لكن يمكن القول أن فى ذلك برهان على إذكاء معز الدولة بن بويه الفتنة بين الأسرة الشاهينية فى محاولة منه للقضاء على عمران بن شاهين(٨٤).

مع ذلك نلاحظ أن العلاقات السياسية بين عمران بن شاهين ومعز الدولة بن بويه سادها الهدوء خلال الفترة من سنة (٣٤٩- ٣٣٥ هـ/ ٩٦٠- ٩٦٦م)؛ ويبدو

أن السبب فى ذلك يرجع إلى أن معز الدولة انشغل بمواجهة خطر الحمدانيين(٨٥).

حقق معز الدولة نجاحاً فى حملتة على الحمدانيين فى الموصل سنة ٣٥٣هـ/٩٦٤م؛ ومن ثم إلتفت مرة أخرى إلى البطائح لاسيما بعد أن تعاظم خطر عمران بن شاهين ؛ إذ سيطر الأخير على منافذ الطرق التجارية ؛ ومن ثم وجه معز الدولة حملة عسكرية إلى البطائح ؛ أسند قيادتها إلى أبى الفضل الشيرازى أحد قواده البارزين؛ وأمره بمحاصرة عمران، وإجباره على التسليم والإذعان لمعز الدولة ؛ وألا "يقبل منه صلحاً ومالاً" ما لم يحضر عمران إلى بغداد ليعلن استسلامه (٨٦).

شرع الشيرازى فى تطبيق إستراتيجية عسكرية سبق أن طبقها المهلبى حسبما تقدم ؛ تعتمد على سد الأنهار المؤدية إلى البطائح حتى تجف المياه عنها ليتمكن جنده من إجتياز البطائح، وفى أثناء ذلك وصلت الأخبار للشيرازى بوفاة معز الدولة فجأة سنة ٣٥٦ هـ/٩٦٦م؛ وتولى بعده أبنه بختيار الذى لقب بعز الدولة(٨٧).

خلاصة القول – أن معز الدولة بعد حكم دام ٢١ عاماً أميراً على بغداد لم يستطع خلالها أن يقضى على ثورة عمران فى البطائح، ويعزى ذلك إلى تبنى الأخير مصالح الطبقة الفقيرة حيث أستنفرها فى البطائح معولاً على سوء الأحوال السياسية والإقتصادية والإجتماعية خلال تلك الفترة.

استهل بختيار عهده بمصالحة عمران بن شاهين ؛ إذ أدرك مدى قوة عمران من ناحية، وفتن جند بختيار وتكالبهم على طلب الأموال منه، فضلاً عن سوء الأحوال المناخية بسقوط الأمطار الغزيرة لمدة ثلاثة أيام حتى مُنِع الناس من الحركة، لذلك كاتب عز الدولة إلى قائده سبكتكين وسائر عسكره المحتشد لمحاربة عمران أن يعود إلى بغداد، ومن ثم تنفس ابن شاهين الصعداء نتيجة إخفاق هذه الحملة (٨٨).

لكن بختيار نقض هذا الصلح، ويبدو أن هذا يرجع إلى حاجته إلى المال لا سيما بعد أن طمع فى أموال عمران بن شاهين، ويذكر مسكويه أن ذلك كان بتدبير

من وزيره وقائده أبى الفضل الشيرازى الذى حبب إليه نقض معاهدة الصلح مع عمران(٨٩). ففى سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م خرج بختيار على رأس جيش كبير لقتال عمران وجعل على مقدمته وزيره أبا الفضل الشيرازى، أما بختيار فقد فضل مباغتة عمران فتظاهر بالخروج إلى الصيد فى النعمانية حتى لا يتأهب عمران للقائه، وإتفق مع الشيرازى أن يجتمعا معاً فى مدينة واسط لحرب عمران (٩٠) .

إتبع بختيار ووزيره نفس الإستراتيجية التى إتبعها أبوه معز الدولة والتى تقضى بسد الأنهار التى تجرى فى البطائح للوصول بسهولة إلى معاقل عمران، ولذلك فقد بنيا الجسور التى يمكن سلوك جنود بختيار عليها إلى معاقل ابن شاهين، وهذا ضد ما أضمره من مباغته الأخير (٩١).

يستشف من المصادر أن عمران كان على دراية بتحركات جيش بختيار وتقدمه نحو معقله فى الجامدة، فانسحب إلى موقع آخر فى البطائح يعرف باسم هوهلان (٩٢)، فلما جفت المياه تقدم الجيش نحو مقرعمران فوجده خالياً فقد كان الأخير يتنقل من موضع لآخر وفقاً لخطته الإستراتيجية التى تعتمد فى المقام الأول على مناعة البطائح من ناحية ؛ وعدم الخوض فى معركة برية فاصلة باستنزاف قدرات عدوه عن طريق ما يمكن أن نسميه حرب العصابات من ناحية أخرى وفى ذلك يقول مسكويه : "وعمران متدرب بذلك قد إعتاد فى جميع حروبه أن يمسك عن عدوه حتى ينفق ما له، ويكدر رجاله فإذا أحس بالمد –الفيضان– ومجىء السيول إحتال فى تخريب ما يُبنى له من السكور –السدود– وإنما يكفيه إيقاع ثلمة يسيرة فى أحد نواحى السد ثم يحمل الماء فيتولى كفايته فى الهدم والتخريب فربما أفسد ساعة من الليل أو النهار تعب سنة أو نحوها، وذلك أن هذه السدود تكون من قصب وتراب يقام فى وجوه المياه الجارية عند ضعف جريانها، فإذا وردت المياه القوية ومُنعت من حدورها كفى منها اليسير من المعونة حتى تنبعث ويدفع بعضها بعضاً، وربما كان

سبب إنبثاق الماء نقب فأرة ثم يوسعها الماء وينتهى فيه إلى حيث لا حيلة فى سده"(٩٣). ولعله لا يخفى فى ضوء هذا النص أن عمران كان يتميز بالدهاء، واستغل السيول و حيله فى تخريب السدود .

لذلك فانه بمجرد قدوم جيش بختيار إليه لم يستطع التوغل داخل البطائح لانه لم يكن مزوداً بالزواريق الخفيفة اللازمة فى مثل المعارك النهرية الضيقة والتى يمتلكها جيش عمران بن شاهين، فاذا طلبتهم الشذوات –السفن– ولجوا فى الأنهار الضيقة وتحصنوا بالأدغال، واذا تعذر عليهم مسلك نهر لضيقه خرجوا من زواريقهم وحملوها على ظهورهم وولجوا إلى هذه المواضع الممتنعة (٩٤).

يرسم لنا مسكويه المعاصر لهذه الأحداث صورة حية لوضع جيش بختيار إذ يقول: "ولم تكن له آلة يطلبه بها فطلب غلاته، فلم يجد فيها شيئاً فإنصرف خائباً، وضجر العسكر من المقام على الشقاء ولم يصبروا على أذية البق وحر الهواء وإنقطاع المواد، فشغبوا عليه وتناولوا الوزير بألسنتهم وهموا بالإيقاع به وتحالف الديلم والأتراك على التعصب وإتفاق الكلمة وأبوا ان يقيموا أكثر مما أقاموا، فاضطر بختيار إلى طلب مصالحته"(٩٥). وهو نص بالغ الدلالة لنصل إلى حقيقتين:– أولهما : رداءة جو البطائح وإنقطاع التموين كانت سبباً فى ضجر جيش بختيار بقيادة وزيره سبكتكين، والحقيقة الآخرى هى فشل خطة جيش بختيار وإفتقاره إلى المعدات العسكرية التى تمكنه من إجتياز تلك الأنهار الضيقة والمسالك الوعرة فى مستنقعات البطيحة، مع حنكة عمران الحربية، الأمر الذى دفعه إلى مصالحته.

يتبين أيضاً؛ أن خروج جيوش الدولة البويهية للقضاء على عمران بن شاهين فلا تنال منه كان نتيجتها تحطم هيبة الدولة من ناحية؛ وإزدياد قوة عزم وشكيمة عمران بن شاهين، وكثُرة أتباعه من ناحية أخرى. بهذا يحدثنا مسكويه وابن الأثير والهمذانى حيث يذكروا أن من شروط الصلح أن يؤدى عمران بن شاهين

لبختيار خمسة ملايين من الدراهم سنوياً، إلا أنه سرعان ما رفض ذلك و نتيجة لشعوره بقوته طلب تخفيض المبلغ إلى إثنين مليون درهم ثم إمتنع عن دفعه، والأكثر من ذلك أنه قام بمهاجمة جيش بختيار الذى انسحب إلى بغداد سنة ٣٦١ هـ/ ٩٧١م. قال مسكويه : "وقد كان –عمران– هابه فى أول الأمر فبذل له خمسة آلاف ألف درهم، فلما طلب هذا المال بعد اضطراب الجند وطول المقام وإنقطاع الحيلة إمتنع عليه منها وبذل ألفى ألف ... ثم تماسك عمران وامتنع من التوثقة بما وافق عليه واقتصر منه على اليمين ... وانصرف بختيار عنه مع عسكره خائبين عليهم الذلة"(٩٦). أما ابن الاثير فيقول: "ولما رحل العسكر تخطف عمران أطراف الناس فغنم منهم وفسد عسكر بختيار وزالت عنهم الطاعة والهيبة" (٩٧) .

عاد بختيار إلى بغداد ليواجه مشاكل عديدة، فعلى الصعيد الإقتصادى كان يعانى من أزمة إقتصادية نتيجة العمليات العسكرية الفاشلة التى قام بها، وكانت باهظة التكاليف فعانت خزينته من الإفلاس، مما أسفر عن قيام الجند بإضطرابات مطالبين برواتبهم، وعندما عجز بختيار عن دفع رواتب جنده إتسعت الإضطرابات حتى شملت أهالى بغداد، ومن ثم وجد بختيار نفسه مضطراً إلى مغادرتها و الذهاب إلى الأهواز فى شعبان سنة ٣٦٣ هـ / ابريل ٩٧٤ م للإستيلاء على إقطاعات الديالمة. ومن هناك أرسل أمراً بالقبض على وزيره وقائد جيشه سبكتكين بعد أن إستولى على إقطاعاته، فأصبح موقفه العسكرى محرجاً فعاد إلى واسط ؛ وكان رد فعل سبكتكين أن أرسل إلى بختيار مقترحاً عليه أن يحكم بغداد وواسط ؛ ويحتفظ بختيار بحكم البصرة والأهواز (٩٨).

الجدير بالذكر ؛ أن بختيار أضطر أن يستنجد بعمران بن شاهين، ويطلب منه المساعدة العسكرية ضد سبكتكين، متوداً إليه بمجموعة من الهدايا ؛ كان من بينها فرس مسرج من ذهب ؛ كما أسقط ديناً كان على عمران، وخطب إليه إحدى

بناته؛ وبعث هذه الهدايا مع حاجب له يعرف بإبراهيم بن إسماعيل (٩٩). إلا أن عمران رفض مطالب بختيار وبعث إليه برسالة تنطوى على طبيعة العلاقة بينهما، ولا تخلو من دلالة على تداعى قوة بختيار وتعاظم قوة عمران؛ وقد سجل مسكويه هذه الرسالة وذكرها ابن الأثير مختزناً منها بما لا يخرج عن رواية مسكويه إذ يقول الأخير: "أما هذا الدين المتروك فالتحُمد علينا به مع علمنا بأنه ساقط باطل لا يحسن لكنا قبلنا به. وأما الوصلة – المصاهرة – فأنا رجل لا أداخل أحداً من خلق الله إلا أن يكون الذكر عندى والأنثى من عنده، وقد خطب إلىَّ الطالبيون مع أنهم موالٍ فما أجبت أحداً منهم إلى ذلك لأن نفسى له وهؤلاء أولاد أخى هم أكفاء بناتى ما واصلت أحداً منهم، ولكن إن شاء أن نتصاهر على السبيل الأخرى فعلتُ. وأما الخلعة والفرس فلست ممن يلبس لباسكم؛ ولا أركب الخيل لأن دوابى هذه السفن، لكن أبا محمد ابنى يقبل ذلك ولا يرده. وأما عسكرى وإنفاذه فليس تسكن رجالى إلى مخالطتكم لكثرة من قتلوا من رجالكم على مر السنين والوقائع. ثم قال للرسول – ابراهيم بن إسماعيل – قل له: ينبغى أن تتوفر وتتزن ولا تستعمل هذه الخفة والنزق فقد قصدتنى محارباً لى فرجعت عنى منهزماً، وقصدت الأهواز فرجعت منهزماً على هذه الحال والصورة من الفتنة، وأنا أعلم أن أمرك سيأدّى إلى أن تجيئنى وتلوذ بى وتحصل عندى وسأذكرك هذا وتعلم حينئذ أنى أعمالك بالجميل وبخلاف ما عاملتنى به أنت وأبوك قبلك"(١٠٠).

هذه الرسالة بالغة الدلالة على أن عمران بن شاهين يؤكد انتماءه للشرائح الإجتماعية الكادحة؛ وأنه يناهض الطبقة البيروقراطية الموالية لبختيار والعسكر الأتراك والديلم؛ فقد رفض زى الأمراء، وفضل زى العيارين والشطار الذين كانوا متواضعين فى زيهم وركوبهم ؛ كذلك رفض بقوة أن يدفع مالاً فرض عليه بالقوة إلى بختيار. وإذا تأملنا نص الرسالة نجد أيضاً أن عمران كان شديد الإعتزاز بتقاليده وتقاليد الفتوة وطوائفهم من خلال رفضه تزويج ابنته لبختيار.

تشير الرسالة كذلك إلى الموقف السياسى لعمران بن شاهين، ويكشف عن فساد بختيار وقصور نظامه السياسى والعسكرى والإقتصادى؛ وضياع هيبة دولته. يؤكد ذلك ما ساقته المصادر من روايات تشير إلى أن العراق سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م خاصة بغداد تهددتها الصراعات المذهبية والعقائدية والسياسية والإجتماعية والإقتصادية، وقد أضحت مقدراتها فى أيدى أجناد الأتراك والديلم فعاثوا فساداً لا هم لهم إلا الظلم والتجديف والخساسة وقلة الدين وحب الفساد لجمع المال وتكديس الثروات؛ وغلت الأقوات وتعذر الكسب وغلب الفقر وقد وجد العيارون والشطار فرصتهم فى الغضب للفقراء؛ فأغاروا على ممتلكات ودور الأغنياء والوزراء، وتقسموا السلطة(١٠١). كل هذا وبختيار منهمك فى شهواته كما يقول مسكويه : "وكل ذلك لسوء نظر بختيار وإهماله الأمور وإقباله على الشهوات واستثقاله مباشرة التدبير حتى سقطت الهيبة، وانبسطت العامة وأغار بعضها على بعض وظهرت الأهواء المختلفة والنيات المتباينة المتعادية وفشى القتل حتى كان يعدم فى يوم عدة قتلى لا يعرف قاتلوهم، وإن عُرفوا لم يتمكن منهم فانقطعت مواد الأموال وخُربت النواحى المتباعدة بخراب دار المملكة وظهر فى كل قرية رئيس مستولٍ عليها وتباغوا بينهم، وحصل السلطان صفر اليد، والرعية هالكون والدور خراب والأقوات معدومة والجند متهارجون"(١٠٢). ويستشف من المصادر أن عمران بن شاهين كان على دراية بالحركة الشعبية المقاومة للنفوذ الديلمى والتركى فى العراق؛ وأن تغاضى مسكويه المعاصر لهذه الأحداث وتبعه غيره من المؤرخين، وإلا ما معنى أن يخرج هؤلاء العيارون على الخليفة المطيع لله وبختيار، وما معنى ظهور رؤساء منهم فى كل قرية، فضلاً عن محاباة سبكتكين لهم. قال مسكويه: "فقودَّ رؤسائهم القواد، وعرف العرفاء، ونقب النقباء، وخلع عليهم وحملهم على الدواب، وبسطهم وصار له منهم جنداً" (١٠٣) .

لا شك أن فى رد عمران بن شاهين على بختيار يفسر ما أسلفناه من قول؛ كما يؤكد درايته بقرب زوال دولة بختيار، ومن ثم إمتنع عن تقديم المساعدات العسكرية لهم. إلا أن موقف عمران قد تغير فيما بعد تجاه بختيار وبادر بتقديم المساعدات له، ولعل السبب فى ذلك ظهور شخصية جديدة تشكل خطراً على مسرح الأحداث السياسية فى العراق وهى شخصية عضد الدولة ابن عم بختيار.

ساد التباغض بين عضد الدولة وبختيار ؛ وبإختصار، فقد تمكن عضد الدولة من دخول بغداد، وقبض على بختيار سنة ٣٦٤ هـ/ ٩٧٤م ثم عاد فأطلق سراحه بشرط أن يكون بختيار نائباً له فى العراق ثم عاد قاصداً أعماله فى فارس(١٠٤). وقد إنعكس هذا التباغض بين أفراد الأسرة البويهية على علاقات عمران بن شاهين وبختيار، ولا سيما عندما توجه عضد الدولة فى نفس السنة نحو واسط لحرب بختتيار؛ ومن ثم طلب الأخير التآزر والتعاون العسكرى من عمران بن شاهين، فأجابه إلى طلبه. وحلت الهزيمة بعضد الدولة فى واسط (١٠٥).

بديهى أن يترتب على المساعدة التى قدمها عمران بن شاهين لبختيار أن يعول الأخير على منحه لقب معين الدولة ؛ وقد عكس هذا اللقب أهمية عمران بن شاهين سياسياً فى ناحيتين أولهما : الإعتراف باستقلال عمران بإمارة البطيحة، وثانيهما : تعاظم موقف ابن شاهين (١٠٦) .

أما عضد الدولة فقد سار نحو بغداد للسيطرة عليها سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦م. لذلك وجد بختيار نفسه مرة أخرى مضطراً لمواجهة عضد الدولة، فاعد جيشاً قاده بنفسه وتوجه إلى الأهواز، إلا أنه كان يريد أن تكتمل قواته بمدينة واسط قبل السير إلى الأهواز لملاقاة عضد الدولة، ومن ثم وصل إلى واسط، ومنها توجه إلى البطائح طالباً المساعدة العسكرية من ابن شاهين فى مواجهة عضد الدولة؛ ونجح فى استقطاب عمران وابنه عن طريق مصاهرته. وقد اختلفت الروايات حول هذه

المصاهرة ؛ فمسكويه يذكر أن بختيار تزوج من ابنة عمران بن شاهين وتزوج الحسن بن عمران بابنة بختيار(١٠٧)، لكن الهمذانى يذكر أن الذى تزوج بابنة بختيار هو عمران بن شاهين، ولم يشر إلى زواج بختيار من ابنة عمران (١٠٨)، ولعل رواية الهمذانى هى الأرجح نظراً لأن عمران قد رفض زواج إحدى بناته من بختيار حسبما تقدم ذكره .

فى ضوء ما سبق يتأكد لدينا أن عمران بن شاهين أصبح أبرز أمراء وقادة بختيار؛ وقد اتفق الطرفان على وضع خطة عسكرية للتصدى لعضد الدولة تتلخص فى أن يرسل عمران بن شاهين ابنه الحسن وقواده فى عدة زواريق مجهزة بالعتاد وآلات الحرب والمال والثياب إلى بختيار ووزيره محمد بن بقية ؛ وأن يعد المرزبان بن بختيار حاكم البصرة إلى أبية مثل هذه القوة وأن يتجه الجميع إلى الأبلة والتحصن بالنهر المعروف بسوراب قرب الأهواز استعداداً لمواجهة عضد الدولة (١٠٩).

تشير المصادر إلى أن عضد الدولة عول على السيطرة على منافذ التجارة فى جنوب العراق خاصة البصرة، وكان معظم سكانها من ربيعة ومضر، ويبدو أنه نجح فى إذكاء الصراع بين القبيلتين، وترتب على ذلك خراب البصرة وسقوطها فى يد عضد الدولة سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦ م ؛ ومن ثم غدا مركز جيش بختيار من الخطر حيث هددت واسط ذات الفوائد الكثيرة لإعداد الزاد والعتاد ولجمع المال اللازم لقوات بختيار من ناحية، فضلاً عن موقعها الإستراتيجى الهام فى طريق البصرة بغداد(١١٠). مما أسفر عن إنسحاب جيوش بختيار فى السفن مخترقين البطائح فتلقاهم عمران بن شاهين وهم على هذه الحالة من الإنكسار وأكرمهم أجل إكرام، ويذكر ابن مسكويه أن عمران قبل يد بختيار، وأنزله إلى دار ابنه أبو محمد الحسن لأنها كانت أحسن دار بالبطيحة وللمصاهرة بينهما؛ وأنزل محمد بن بقية فى داره، فأقاموا عنده ضيوفاً ثلاثة أيام؛ فعجب الناس من موافقة ذلك ما كان عمران سبق إليه

بالحكم عندما قصده بختيار محارباً حسبما تقدم. ثم سار بختيار نحو واسط ومنها توجه نحو بغداد (١١١). فقصد الحمدانيين فى الموصل، واستعان بأبى تغلب بن حمدان، والتقى الجيشان بنواحى تكريت. ولكن الهزيمة حلت ببختيار، وأسر وسيق إلى بغداد، فقتله عضد الدولة سنة ٣٦٧هـ / ٩٧٧ م (١١٢).

بصدد العلاقات بين عمران وعضد الدولة ؛ نلاحظ أن الأخير بالرغم من استيلائه على بغداد، صم آذانه عن عمران بن شاهين نظراً لتفوقه على البويهيين السابقين وتحكمه فى الطريق الواصل بين العراق والبصرة خلال تلك السنوات؛ فضلاً عن انشغال عضد الدولة فى إقرار الأوضاع فى بغداد؛ لذلك شهدت البطائح هدوء خلال هذه السنوات حتى توفى عمران بن شاهين يوم الخميس ١٣ محرم٣٦٩ هـ / يوليو ٩٧٩ م بعد حكم استمر ما يقارب الأربعين عاماً؛ يقول مسكويه: "وفاظت نفسه بعد أن نصب له الأرصاد أربعين سنة وأنفقت على حروبه الحرائب، وبعد أن أذل الجبابرة وأرباب الدول' وطواهم أولاً أولاً وقدمهم أمامه على غصص يتجرعونها وذحول يتحملونها، وهو ممنوع الحريم، محصن الساحة محمى من غوائلهم ومكايدهم"(١١٣).

خلاصة القول – أن عمران بن شاهين نجح فى أن يؤسس إمارة البطائح ؛ ويقود صراعاً مظفراً مع السلطة البويهية لا لشىء إلا لأن حركته كانت تعبيراً عن آمال الطبقة الفقيرة فى الخلاص من القهر السياسى والمعاناة الإقتصادية والتميز الطبقى الإجتماعى ؛ وقدر لعمران الصمود أمام أطماع معز الدولة وابنه بختيار ثم عضد الدولة لمدة أربعين عاماً لم يستطع خلالها البويهيون السيطرة على البطائح .

المحور الثانى نهاية الإمارة : -

ولى حكم إمارة البطائح بعد وفاة عمران بن شاهين ابنه الحسن ؛ وإذا كان عضد الدولة قد تبنى سياسة غض الطرف عن عمران؛ فالثابت أنه خلال تلك السنوات تمكن من ضم دولة الحمدانيين؛ ثم التفت إلى البطائح وهى رقعة ذات حساسية استراتيجية بالنسبة لطرق ومنافذ التجارة لدولته التى ضمت بلاد فارس والعراق وبعض أقاليم ما وراء النهر؛ فضلاً عن تفاقم أخطار العيارين والشطار وقطاع الطرق وكثرة ثوراتهم؛ وعجز البويهيين عن القضاء على إمارة البطائح الذى انتمى مؤسسها عمران بن شاهين إلى قوى طبقة العامة خاصة شرائح اللصوص والشطار والعيارين لما استنفرهم للدفاع عن مصالحهم الإقتصادية والإجتماعية والسياسية وللدفاع عن البطائح؛ وهذا شكل خطراً على الدولة البويهية (١١٤). لذلك فكر عضد الدولة فى السيطرة على البطائح.

يروى مسكويه رواية بالغة الدلالة على طموحات عضد الدولة للقضاء على هذه الحركة الثورية فى البطائح إذ يقول : "كره أن يجاوره – الحسن بن عمران – مستعصياً ويطاوله صغار أصحاب الأطراف ومن يلوذ بالقصب والغياط والآجام ولا يستأصله فعرض فى مجلسه بذكر الحسن بن عمران والبطيحة وطلب من يكفيه هذا الخطب" (١١٥). لذلك فى سنة ٣٦٩هـ / ٩٧٩ م جهز جيشاً كبيراً بقيادة وزيره المطهر بن عبد الله الذى توجه نحو البطائح، وقد رافق المطهر أبو الحسن محمد بن عمر العلوى الكوفى نقيب الطالبيين (١١٦)، فلما وصل إلى قرية البريونى من أعمال الجامدة شاور الوزير المطهر من معه من أصحاب الخبرة السابقة على خطة مثلى للهجوم، فأشاروا عليه برأى يتطابق مع إستراتيجية من سبقه من القواد عند هجومهم على البطائح، وهى تجفيف الأهوار عن طريق إقامة السدود على أفواه الأنهار لتنشف البطيحة التى يلجأ إليها عسكر ابن شاهين كما أنشأ المطهر جسراً تسهل سير المشاة

والخيل إلى معاقل أهل البطيحة. إستغرق ذلك وقتاً طويلاً وكُلف أموالاً طائلة وجاءت الفيضانات على هذه السدود فخربت بعضها، كما تمكن الحسن بن عمران من الوصول إلى بعض تلك السدود فبثقتها فأمتلأت االبطائح بالمياه. يقول مسكويه أن المطهر "إذا سد جانباً إنثلمت عليه جوانب، وإذا حفظ وجهاً آتاه الخلل من وجوه"(١١٧). لذلك تعذر على المطهر وجيشه الوصول إلى جيش الحسن بن عمران إلا أن ذلك لم يثنه عن حرب الحسن فأعد الزوارق وتقدم بها وتقابل الطرفان ووقعت معركة فى الأهوار لم ينجح فيها المطهر الذى لم يكن على دراية بفنون الحرب فى الأنهار الصغيرة وبين القصب مثلما الحال بالحسن بن عمران وأهل البطائح، وعندما يئس المطهر من إحراز النصر، إتهم أبا الحسن محمد بن عمر العلوى بالخيانة وأنه يطلع صاحب البطيحة على أسرار وتدابير جيشه، وخشية عقوبة عضد الدولة بعد هذه الهزيمة قرر الإنتحار قبل وصوله لبغداد بقطع شرايين ذراعيه (١١٨).

حينئذ فى ضوء هزيمة المطهر وفشل إستراتيجيته العسكرية فى السيطرة على البطائح، لم يتقاعس عضد الدولة فى تغيير هذه الإستراتيجية إلى حين فلجأ إلى سياسة المصالحة مع أمير البطائح مقابل دفع الأموال كما فعل سلفه معز الدولة مع عمران بن شاهين. إذ أرسل عضد الدولة أحد رجاله وهو عبيد الله بن الفضل الذى صالح الحسن بن عمران على مال يؤديه إليه وتسلم منه رهينة وعاد عبيد الله إلى بغداد (١١٩) .

نظراً لتعاظم قوة الحسن بن عمران، ونظراً لفشل جيش عضد الدولة الذى يشكل أكبر قوة عسكرية على الساحة فى المشرق الإسلامى إلحاق الهزيمة بابن عمران؛ وأقصى ما حققه لم يتعد حفنة من الأموال؛ لذلك لم يجد عضد الدولة غضاضة فى اللجوء للمكيدة بابن عمران حتى يوقع به، فاتفق مع بعض وجهاء البصرة – ويبدو أنهم من قبيلة مضر الموالية له – على أن يكاتبوا الحسن بن عمران

بأنهم يريدون تسليم البصرة له إذا ساعدهم فى التخلص من واليها؛ فخرج الحسن بجيشه؛ فلما وصل بقرية مطارا خرج عليه الكمين من الخلف، فانهزم الحسن وفقد كثيراً من رجاله وسفنه ؛ ورجع إلى البطائح وذلك فى شعبان ٣٦٩هـ / فبراير ٩٨٠ م. ويذكر مسكويه أن سبب فشل هذه المكيدة التى دبرها عضد الدولة فيقول : " وأخطأوا لأن تمام التدبير كان فى أن يتركوهم – الحسن ابن عمران وسائر عسكره – حتى يُوغلوا إلى البصرة " (١٢٠).

جدير بالذكر أن هزيمة الحسن بن عمران ترجع أيضاً إلى عدم خبرته وانخداعه بمكائد عضد الدولة؛ ويصفه مسكويه "فبلغ به الجهل أن صدق بهذا الوعد"(١٢١). ما كادت هزيمة الحسن بن عمران تنتهى حتى ظهرت فى الأفق بوادر الفتن الداخلية فى البطائح ؛ إذ وقع نزاع داخلى بين أبناء عمران بن شاهين ؛ وكان ذلك إيذاناً بإنهيار الأسرة الشاهينية. فقد ساءت العلاقة بين الحسن بن عمران وأخيه الأصغر أبى الفرج، ويصف الروذراورى الأخير بأنه كان "جاهلاً متهوراً" (١٢٢)، إذ حسد أخاه الحسن على سلطته وطمع فى إمارة البطائح ؛ وعلى إثر ذلك بدأ أبو الفرج يخطط للتخلص من أخيه، واستجاب بعض أتباعه لهذه المؤامرة، وقد دبر حيلة لقتل أخيه إذ دعاه لزيارة أختهما المريضة ورتب فى دارها من يقوم بقتله، وكان أبو الفرج أول من ضربه بسيفه وساعده رجاله الذين رتبهم فى دار أخته بالإجهاز على الحسن بن شاهين سنة ٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م، ويبدو أن أصحاب الحسن المرافقين له امتعضوا لمقتل أميرهم إلا أن أبو الفرج أسدل عليهم العطايا فأطاعوه وأمروه (١٢٣) .

أظهر أبو الفرج طاعته للبويهيين؛ فطلب منهم تقليده حكم البطائح، فاستجابوا لطلبه ونصبوه أميراً على البطائح (١٢٤)؛ ويبدو أن سياسته هذه كانت بسبب الظروف التى تم بها استلامه حكم البطائح ؛ حيث قتل أخاه، ولعل لهذه الحادثة أثارها على سياسته الداخلية، فقد قرب منه الأشخاص الذين أيدوه فى مقتل

أخيه؛ بينما أبعد القادة الأكفاء الذين عارضوه، خاصة الذين عاصروا أبيه وأخيه الحسن، نذكر منهم المظفر بن على الذى اشتهر بالكفاية الإدارية والعسكرية، والقائد المعروف بالشعرانى. وقد اتفق هذان القائدان مع شيوخ القواد على قتله. وقد تكفل الشعرانى بأمر الجند، أما المظفر فقد تكفل بمهمة قتله، فسار إلى أبى الفرج حيث وجده فى بناء استحدثه " فلما رآه أبو الفرج قال له: فيم حضرت؟ قال: علمت أن ركوب الأمير فاحببت خدمته. وحضر من أعطاه كتاباً فلما أخذه وتشاغل بقراءته جرد المظفر سيفه وثار إليه فضربه"(١٢٥) .

نجم عن مقتل أبى الفرج سنة٣٧٣هـ / ٩٨٣ م قيام المظفر باستدعاء أبى المعالى محمد بن الحسن بن عمران من دار الإمارة فى المنصورة، وكان صغير السن فأقامه أميراً على البطائح ومنح الأعطيات للجند فى محاولة منه لكسب رضاهم بعد قتله إبا الفرج. عندئذ عول المظفر على الإستئثار بالسلطة ؛ فقد استغل الأمير الصغير وقبض على جميع السلطات بيده، كما عمد إلى اتباع اسلوب الشدة والصرامة فى إجبار الجند على الإذعان لقيادته، إذ يذكر الروذراورى أنه عندما قيل له أطلب التوثقة من العسكر بالأيمان قال: "التوثقة سيفى من استقام غمدته عنه ومن إعوج سللتُه عليه" (١٢٦). ومع ذلك؛ حاول المظفر التودد إلى البويهيين، إذ كتب إلى صمصام الدولة بن عضد الدولة يخبره أنه أخذ ثأر الحسن بن عمران، وأعاد الإمارة إلى ابنه محمد الملقب بأبى المعالى، وسأله الإعتراف بإمارة إبى المعالى وحجابته فأجيب إلى ذلك جميعه (١٢٧) .

لاشك أن فترة ولاية محمد بن الحسن بن عمران تعتبر إمتداداً للإمارة الشاهينية، ولكن الحاجب المظفر استطاع السيطرة على مقاليد الحكم فى البطائح وسلب إبى المعالى سلطاته، كما عمد على التخلص من أتباعه الذين ساعدوه فى التخلص من الأمير أبى الفرج ومنهم صاحبه الشعرانى فقتله مع بضع عشر نفساً من القواد فى يوم واحد (١٢٨).

لاغرو؛ إذ تطلع المظفر إلى منصب أمير البطائح، فقد ظل يمارس بصورة فعليه سلطات الأمير القاصر أبى المعالى من ناحية، وتخلص من كبار قادة البطائح الذين قامت على أكتافهم الإمارة الشاهينية من ناحية أخرى، ولم يصبح أمامه من عائق سوى إعتراف صمصام الدولة البويهى به كأمير على البطائح، ويبدو أنه كان على ثقة من موافقة صمصام الدولة، إذ يتيح للأخير تمزيق وحدة قادة البطائح وانقسامهم إلى جماعات متناحرة تفنى بعضها بعضاً، والقضاء على الإمارة التى أسسها عمران بن شاهين بعد أن عجز أسلافه فى القضاء عليها حسبما تقدم .

لجأ المظفر إلى الحيلة للحصول على لقب أمير البطائح من صمصام الدولة، إذ أمر كاتبه أن يكتب كتاباً صادراً عن لسان صمصام إليه يتضمن اسناد ولاية البطي حة له ليضمن طاعة قواده وجنده ؛ ولإحباك حيلته سلم هذا الكتاب إلى ركابى غريب وأمره أن يدخل على مجلس المظفر ومعه الكتاب عند اجتماع القواد والأجناد عنده، ففعل ذلك واتاه وعليه أثر الغبار وسلم إليه الكتاب فقبله وفتحه وقرأه بمحضر من القادة والجند، وأظهر الإستبشار، وأجاب بالسمع والطاعة ؛ وكان أبو المعالى أحد الحاضرين فى المجلس فعزله من الإمارة، ثم أمر المظفر بإرسال إبى المعالى وأمه إلى واسط حيث أجرى لهما راتباً ؛ ومن ثم أصبح المظفر أميراً للبطائح وتلقب بالموفق (١٢٩).

هكذا انتهت الإمارة الشاهينية ؛ لتتداول أسرة أخرى تحكم البطائح، فقد كان المظفر متقدماً فى السن ولم يكن له وريث لإمارته، فعهد بالإمارة من بعده إلى ابن أخته على بن نصر الملقب بمهذب الدولة وإلى أبى الحسن على بن جعفر من بعده وهما ابنا اختيه وذلك سنة ٣٧٦هـ / ٩٨٦ م (١٣٠). لكن كيف اختل أمر هذه الإمارة الشاهينة ؟

يتضح من العرض السابق أن عمران بن شاهين تمكن من وضع أسس هذه الإمارة التى أصبحت موئلاً لتجميع المهمشين من سائر أرجاء العراق، ثم كون جيشاً

استطاع بفضله التصدى للجيوش البويهية التى حاولت السيطرة علة البطائح عدة مرات ولكنها لم تتمكن من ذلك. ومما لا شك فيه أن استقامة الملك لعمران يرجع فى المقام الأول إلى حسن سيرتة فى الرعية؛ ويربط الروذراورى بين صاحب البطيحة وذيوع أمره وضعف بنى بويه أمامه، فيخبرنا أن ملك أمير البطائح لم يصلح إلا "بإحسان السيرة وإحكام السياسة وترتيب الخاصة وتهذيب العامة والهيبة فى الجند والعدل فى الرعية" (١٣١). ومما له دلالته فى هذا المقام أن مسكويه يصف عمران بأنه "مذل الجبابرة وأرباب الدول" وأنه يتمتع بشخصية قوية ويعرف أمور السياسة ويحسن حمى نفسه من مكائد البويهيين وخرج من جميع حروبه قوياً وأصبح بعد كل حرب يخوضها معهم منيع الجانب يهابه الحكام (١٣٢) .

أما ابنه الحسن فكان لا يمتك الخبرة العسكرية مقارنة بأبيه فقد استدرجه عضد الدولة للخروج من البطائح لإستيلاء على البصرة ؛ لذلك كان ابتعاد الحسن عن معاقله فى البطائح ذات الطبيعة الجغرافية المنيعة – فيما نرى – يتنافى مع الإستراتيجية العسكرية التى انتهجها عمران والتى تستند فى المقام الأول على التمركز فى البطائح والدفاع عنها بآلات الماء من سفن صغيرة وزواريق. ومما لا شك فيه أن هزيمة الحسن فى هذه المعركة قد أضعف قوته العسكرية و فقد كثيراً من جنده وقادته وسفنه الحربية مما أفضى إلى طمع أخيه أبوالفرج فى الإستئثار بحكم البطائح(١٣٣). لقد كان للصراع الداخلى بين أبناء عمران بن شاهين أثراً بالغاً فى إنهيار هذه الأسرة الشاهينية، إذ فتح المجال لأطماع بعض قادة عمران للسيطرة على البطائح، فقتل المظفر أبى الفرج بن عمران سنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٣ م، وعزز ذلك بحجابة إبى المعالى محمد بن الحسن بن عمران ليمهد لنفسة الإستيلاء على السلطة بتهدئة الأمور مع البويهيين ببذل الأموال فأصبح الطريق أمامه سهلاً لحكم البطائح فعزل إبى المعالى آخر أمراء الأسرة الشاهينية، وانفرد بالإمارة.

تغير الحال بعد قيام إمارة البطائح ؛ وحسبما تقدم فقد اتسم عمران بن شاهين بالشجاعة وقيم النبالة، وإذ تبنى عمران الدفاع عن الفقراء والمعوزين، فقد صار أيضاً ملاذاً لكل خائف يستنجد به خاصة من الطبقة البرجوازية، يفهم ذلك من خلال المصادر؛ ففى سنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٤م هرب القاضى المحسن بن على التنوخى إلى البطيحة من إضطهاد الوزير ابن بقية إذ يقول: " كنت قد هربت إلى البطيحة هارباً من نكبة لحقتنى، وأعتصمت بأميرها معين الدولة عمران بن شاهين" (١٣٤) ؛ كما يذكر أيضاً أنه لقى فى البطيحة جماعة كثيرة من الهاربين واجتمع إليهم. أما الروذراورى فيقول: "وصارت البطيحة معقلاً لكل من قصدها من الأطراف واتخذها الأكابر وطناً فبنوا فيها الدور وشيدوا فيها القصور"(١٣٥). تلك الأمثلة شاهد لا يرقى إليه الشك على تعاظم وجود البرجوازية فى البطائح؛ وقرينة على الإزدهار الإقتصادى والعمرانى والنمو الديموجرافى فى عصر الأسرة الشاهينية. لكن الطبقة البرجوازية التى حازت الأراضى والمال وتطاول بنيانها تخلت عن دورها التاريخى فى مناصرة هذه الأسرة التى وفرت لها الحماية، ومالت إلى السلطات الحاكمة؛ الأمر الذى يدمغها بالخيانة (١٣٦).

مما لا شك فيه أن ثورة عمران بن شاهين ونجاحه فى تأسيس الإمارة الشاهينية؛ هددت بإنتشار المبادىء الثورية بين العوام فى العراق والأقاليم التابعة للدولة البويهية؛ وعندما فشلت القوة فى الإستيلاء على البطائح لجأوا إلى الحيلة فى إحياء النزعات القبلية بين مضر وربيعة، وشاركت مضر فى المؤامرة التى حاكها عضد الدولة البويهى ضد الحسن بن عمران وأسفرت عن هزيمة الأخير، وهو أمر ساعد بعد ذلك على ضعفه و سوء تدبيره وزوال هيبته فخلع بو الفرج طاعته وقتله فكان بداية لإنهيار الإمارة الشاهينية (١٣٧).

المحور الثالث : ذهنيات العوام :

أ) الملح والنوادر :

لما كانت الدراسة الموضوعية فى هذا البحث تقودنا إلى الحديث عن الحركة الفكرية والأدبية فى البطائح فى عصر بنى شاهين، وهى من المواضيع التى تتطلب بحثاً يكشف النقاب عن مفاهيمها المتعددة؛ فإننا سوف نقتصر فى هذا االمبحث على دراسة أخلاق اللصوص وذهنياتهم والشعر بأغراضه المختلفة، كما نشيرإلى الفقهاء الذين أنجبتهم البطائح خلال فترة البحث.

تمدنا بعض المصادر، بأخبار بعض اللصوص، وتحمل هذه الأخبار دلالات واضحة حول أسباب اللصوصية التى مارسها أصحابها، وإرتباطها بالأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية السائدة. وأن ثمة شروطاً وأعرافاً وآداباً وتقاليد، ينبغى على هؤلا ء اللصوص والفتيان والمكدين والشطار أن يتبعوها، وأن يسيروا على نهجها، ويتسموا بها فى سلوكهم ومواقفهم. مثال ذلك عدم سرقة الجار، وإن كان عدوا، وتكون السرقة من كبار الأثرياء والبخلاء ممن لا يخرج زكاة أو يغش أو يكذب. ومن شيم اللصوص والفتيان العزم والمروءة والصبر وقوة التحمل والضرب فى السجون(١٣٨).

شكل المهمشون عصابات متخصصة يتمركزبعضها من بعض بطريقة تنفيذ عملياتها. قال عثمان الخياط: "السارق فى الحضر والسفر خمسة: المحتال، وصاحب ليل وصاحب طريق والنباش والخناق، فالمحتال اسم لمن لا يعمل إلا بحيلة ولا يقتل، فهو لا يعرف بالصبر والنجدة، فاللصوص يبهرجونهم ولا يستصبحونهم، وأما صاحب الليل والنقاب والمتسلق والمكابر وأشباههم، والنباش معروف، وأما الخناق فما منهم واحد إلا وهو صاحب بعج ورضخ، والرضخ إنما يكون فى الأسفار ويصحب الرجل

المفرد من الرفقة ومعه حجران أملسان ملمومان قدر ملء الكف، وأكثرهم لا يرضى بالقتل مخافة المطالبة. ومن الخناقين من يحمل الرجل إلى داره بحيلته فإذا ألقى الوتر فى عنقه، ضرب أصحابه بالطبل والصنج وتصايحوا كما تفعل النساء بالبيوت ليخفى صوته"(١٣٩). وذكر بديع الزمان الهمذانى لائحة طويلة للصوص والطرارين وكلهم منسوبون إلى حيل وأعمال خاصة بهم. ولعل الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ/ ٨٦٨م) أبرز الأدباء القدماء الذين تناولوا أخبار اللصوص والشطار خاصة كتابه "حيل اللصوص" ويصفه البغدادى (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) بقوله : "هو فى تصنيف حيل لصوص النهار، وفى تفصيل سراق الليل، وأنه جمع فيه لطائف الخدع، وغرائب الحيل". وربما أن هذا الكتاب وغيره من الكتب قد صادف هوى فتلقفته العامة والخاصة – على اختلاف فى الأسباب – وتذاكرته لصوص الأجيال التالية وعياروها وشطارها وفتيانها فتمثلته واقتدت به، موقفاً وغاية وسلوكاً وأداباً.

نستدل على ذلك برواية يتحدث فيها القاضى أبو على المحسن التنوخى الذى عاش بضع سنوات فى البطيحة وعاصر عمران بن شاهين إذ يقول : " حدثنى عبد الله بن عمر الحارثى السراج، المعروف بأبى أحمد الحارث. قال : كنت مسافراً فى بعض الجبال فخرج علينا ابن سيار الكردى فقطع علينا، وكان بزى الأمراء، لا بزى القطاع، فقربت منه لأنظر إليه وأسمع كلامه، فوجدته يدل على على فهم وأدب، فداخلته، فإذا برجل فاضل يروى الشعر، ويفهم النحو، فطمعت فيه، وعملت فى الحال أبياتاً مدحته بها. فقال : لست أعلم أن هذا من شعرك، ولكن أعمل لى على قافية هذا البيت ووزنه شعراً، لأعلم أنك قلته، وأنشدنى بيتاً. قال : فعملت فى الحال إجازة له ثلاثة أبيات. فقال لى أى شىء أخذ منك لأرده عليك. قال : فذكرت ما أخذ منى، وأستضفت إليه قماش رقيقين كانا لى. فرد جميع ذلك. ثم أخذ من أكياس التجار التى نهبها كيساً فيه ألف درهم فوهبه لى. قال: فجزيته خيراً ورددته عليه. فقال لى : لم لم تأخذه فواربت فى كلامى، قال : أحب أن تصدقنى، فقلت : وأنا آمن ؟ قال : نعم،

قلت: لأنك لا تملكه، وهو من أموال الناس أخذته منهم الساعة ظلماً، فكيف يحل لى أخذه؟ .فقال لى : أما قرأت ما ذكره الجاحظ فى كتاب اللصوص عن بعضهم. قال : إن هؤلاء التجار لم تسقط عنهم زكاة الناس لأنهم منعوها وتجردوا، فتركت عليهم فصارت أموالهم بذلك مستهلكة، واللصوص فقراء إليها، فإذا أخذوا أموالهم وإن كره التجار أخذها، كان ذلك لهم مباحاً، لأن عين المال مستهلكة بالزكاة، وهم يستحقون الزكاة، شاء أرباب الأموال أو كرهوا. فقلت بلى: قد ذكر ذلك الجاحظ .ولكن من أين يعلم أن هؤلاء استهلكت الزكاة أموالهم. فقال: لا عليك أنا أحضر هؤلاء التجار الساعة، وأُريك بذلك دليلاً صحيحاً أن أموالهم لنا حلال، ثم قال لأصحابه: هاتوا التجار فجاؤا. فقال لأحدهم : منذ كم تتجر فى هذا المال الذى قطعناه عليك ؟ فقال: منذ كذا وكذا سنة. قال : فكيف كنت تخرج زكاته ؟ فتلجلج، وتكلم بكلام منه لا يعرف الزكاة على حقيقتها فضلاً عن أن يخرجها، ثم دعى بآخر، وقال له : إذا كان معك ثلاثمائة درهم وعشرة دنانير، وحال عليك الحول، فكم تخرج منها للزكاة ؟ فما أحسن أن يجيبه. ثم قال لأخر : إن كان معك تجارة وعليك دين على نفسين، أحدهما ملىء، والأخر معسر، ومعك دراهم، وكان الحول حال على الجميع، كيف تخرج الزكاة ؟ قال : فما فهم السؤال، فضلاً عن أن يتعاطى الجواب، فصرفهم. ثم قال لى : بان لك صدق حكاية أبى عثمـان الجـاحظ ، وأن هؤلاء التجار ما زكوا قط. خذ الآن الكيس. قال : فأخذته وساق القافلة ليتصرف فيها. فقلت : إن رأيت أيها الأمير أن تنفذ معى من يبلغنى المأمن كان لك الفضل، ففعل ذلك ونجوت من أذاه " (١٤٠).

ذكرت هذا النص على الرغم من طوله، لنتبين عدة حقائق نوجزها فيما يلى:
أولاً: أن كتاب الجاحظ لم يكتف فقط بسرد نوادر اللصوص وطوائفهم وما لهم من حيل، بل قدم شيم ومكارم هؤلاء المهمشين ودوافعهم الكامنة وراء شطارتهم وما يصبغونه على سلوكهم من شرعية. الأمر الذى جعله مشهوراً بين اللصوص من بعده

ودستوراً لهم يتمثلونه ويرددون قيم وعادات وطرائف اللصوص الأوائل، فالظروف التى أفرزتهم لا تزال هى عين الظروف التى أفرزت لصوص القرن الرابع الهجرى .

ثانياً: أن رئيس اللصوص فى هذه الحكاية، كان يرتدى زى الأمراء بينما يرتدى أتباعه زى القطاع وهى من لطائف الحيل والخدع. ولوجدناه يسلك سلوك الأمراء، ويتشبه بهم فى بذله أكياس الدراهم لمن يمدحه.

ثالثاً: أن هذا اللص كان عالماً فقيهاً أديباً شاعراً مجيداً للنحو العربى وفنون الثقافة العربية.

رابعاً: أن اللص كان صاحب مروة ونخوة، فكان من أدابه هو ورفاقه إكرام الشعراء ومن يتوسل بهم وأن يردوا عليهم جميع أموالهم، كما يؤمنون لهم طريق العودة.

خامساً: أن اللصوص كانوا أصحاب قضاياهم الإجتماعية والإقتصادية أمام سطوة البرجوازية. ومن هنا يروا أنفسهم أصحاب حق شرعى مغتصب وهو الزكاة، ومن ثم يجب الحصول عليه شاء أصحاب المال أم كرهوا، وأن اللصوص إندفعوا إلى هذا السبيل على كره منهم، ولكن ليس أمامهم إلا هذا السبيل. وأطرف من هذا أن يستبيح الحارثى السراج نفسه هذا المال ويقبله بعد أن تظاهر برفضه أول مرة لحرمته.

وهذا يقودنا إلى القول أن وراء هذا السلوك، موقفاً سياسياً، يكشف عن فساد السلطة وضياع هيبة الحكم، وأن اللصوص نظموا أنفسهم فى جماعات وكان عدد أفراد العصابة كبيراً حتى بلغ أحياناً مائة رجلاً مجهزين بالسفن والقسى والنشاب بزعامة رئيس لهم يشرف على عملهم، مثال ذلك اللص المعروف بالكرخى.

ويذكر التنوخى أن الكرخى سبب له لجوئه إلى اللصوصية، قال اللص: "نشأت فلم أتعلم غير معالجة السلاح، وجئت إلى بغداد أطلب الديوان فما قبلنى أحد، فإنضفت إلى هؤلاء وطلبت الطريق، فلو كان أنصفنى السلطان ونزلت بحيث أستحق

من الشجاعة لانتفع بخدمتى وما فعلت هذا" وواضح أن الكرخى يتحدث عن لجوئه إلى اللصوصية بعد أن ضاقت فى وجهه سُبل العيش. وعلى الرغم من ذلك فقد كان الكرخى يتميز بحسن معاملة الفقراء بعكس ما عامل به الأغنياء، فقد رد على قوم ضعفاء أشياء كثيرة كانت أخذت منهم، ويجير من يستجير به، كما يقوم هو وأصحابه بحراسته حتى يبلغ مأمنه(١٤١).

فى ضوء ذلك يمكن القول أن جماعات اللصوص كانوا يقطعون الطريق فى البر والبحر، يتحدون السلطة التى لم تنصفهم، ومن ثم فمن تمام آدابهم أن يسيروا مع من أمنوهم. فضلاً عن رد أموال الضعفاء، والعرفان بالجميل لمن أنصفهم. وهذا يدل على موقف أخلاقى رسموه لأنفسهم، ومن ثم كانوا يتخاطبون بالفتيان وكانوا يحبون أن يدعوا بذلك. ومن مظاهر هذه الفتوة التعزز عن إلحاق الأذى بالناس وكره القتل، وحسن الخلق. وذكر أبو حيان التوحيدى قصة فتوة أسود الزبد : " فما ظهر من حسن خلقه – مع شره ولعنته وسفكه للدم وهتك للحرمة – أنه اشترى جارية كانت فى النخاسين عند الموصلى بألف دينار، وكانت حسناء جميلة، فلما حصلت عنده إمتنعت عليه. فقال لها: ما تكرهين منى؟ قالت: أكرهك كما أنت. فقال لها ما تحبين؟ قالت أن تبيعنى، قال لها: أو خير من ذلك، أعتقك وأهب لك ألف دينار ؟ قالت نعم، ففعل ذلك بحضرة القاضى ابن الدقاق عند مسجد ابن رغبان. فعجب الناس من نفسه وعلو همته وسماحته، ومن صبره على كلامها"(١٤٢).

يجمل بنا أن نسوق كذلك شيئاً من قصص اللص أبى على الكردى وهو من رجال عمران بن شاهين، إذ يذكر التنوخى أن أبا على خرج وأصحابه وعددهم سبعون رجلاً من فارس وراجل فى أيام موسم الحج، فأغاروا على قافلة لرجل من أهل شاس وفرغانة معه إثنى عشر جملاً وجارية فى قبة عليها "حلى ثقيل" كان قد أخبرهم بها أحد عيونه من القافلة، فلما إستولوا على هذه الأموال والغنائم وكان من بينها

برذون أصفر يساوى مائتى درهم وهموا بالإنصراف قال لهم الحاج: "يا فتيان هنأكم الله بما أخذتم ولكننى رجل حاج بعيد الدار فلا تتعرضوا لسخط الله بمنعى من الحج، فأما المال فيذهب ويجىء وتعلمون أنه لا نجاة لى إلا على هذا البرذون فاتركوه لى فليس يبين ثمنه فى الغنيمة التى أخذتموها"، فتشاورنا فقال شيخ مجرب: لا تردوه عليه واتركوه مكتوفاً هنا فإن كان فى أجله تأخير فسيقيض له من يحل كتافه، فكنت –أبو على الكردى– فيمن عزم على هذا، وقال بعضنا: ما مقدار دابة بمائتى درهم حتى تمنع رجل حاج وجعلوا يرققون بقلوب الباقين حتى سمحنا بذلك فأطلقناه ولم ندع عليه إلا ثوباً يستر عورته، فقال: يا فتيان أنتم مننتم على ورددتم دابتى وأخشى إذا سرت أن يأخذها غيركم فأعطونى قوسى ونشابى أذب بها عن نفسى وفرسى، فقلنا : لا نرد سلاحاً على أحد. فقال بعضنا لبعض : وما مقدار قوس ثمنها درهمان وما نخشى من مثل هذا. فأعطيناه قوسه ونشابه وقلنا انصرف فشكرنا ودعا لنا، ومضى حتى غاب عن أعيننا (١٤٣). وتنتهى القصة بعد ذلك بعودة هذا الحاج وقتله خمسة رجال من أصحاب أبى على الكردى، فإزداد غيظتهم عليه وناشبوه القتال، وكان قد طلب منهم أن يسترد منهم أمواله التى إغتصبوها والجارية. وإنتهى الأمر بمقتل أكثر من خمسين لصاً وأجبرهم على تسليم سلاحهم، ثم أخذ جميع السلاح والدواب والأموال. وكان ذلك سبب توبة هذا اللص إذ يقول: "وكان ذلك سبب توبتى عن قطع الطريق آنفه لما لحقنى منه وأنا على ذلك الحال إلى اليوم(١٤٤).

هذا هو أبو على الكردى، أحد لصوص رجال عمران بن شاهين كان نشاطه قائماً على مهاجمة قوافل الحجاج، وقد إشتهر بالشجاعة كما وصفه التنوخى. ولعلنا لاحظنا من خلال هذه الرواية أنه صاحب مروة ونخوة، فكان من آدابه إيثار سلامة الحجاج على الرغم من أن ذلك يعرضه فى بعض الأحيان للموت، ولكن فى نفس الوقت يؤكد شجاعة وإقدام هؤلاء اللصوص ويكشف عن مراجعة بعضهم فى إحتراف اللصوصية وظهور التوابين فى هذا العصر من بين رجال عمران بن شاهين.

حفلت المصادر بحكايات كثيرة فى فن السرقة (١٤٥)، ولولا خشية الإطالة لنقلتها هنا كاملة للوقوف على مدى إنتشار هذه الظاهرة وذيوعها فى عصر عمران بن شاهين. وترك لنا أحد اللصوص صورة عن تنظيم العمل أثناء تنفيذ عملية سرقة داخل نهر الأبلة من ابن الدنانيرى الواسطى وكان جابياً لأموال أحد التجار، وكان لهذا اللص جماعة تتألف من ملاح وقارىء متعامى وسابح. فكان الملاح يدور فى خيطية – سفينة خفيفة – فى المشارع فى أوقات المساء، وقد سبقه المتعامى فجلس فى إحدى المشارع. فإذا رأى الملاح راكباً معه شيئاً له قدر ناداه وأرخص له الأجرة وحمله فى سفينته. فإذا بلغ إلى القارىء وصاح به شتمه الملاح حتى لا يشك الراكب فى براءة ساحته. فإن حمله الراكب فذاك، وإن لم يحمله رّفقه الملاح حتى يجعله يحمله، وينطلق المقرىء بقراءة جميلة، ويذهل الراكب، فإذا بلغت السفينة إلى موضع فيه رجل يسبح من أفراد العصابة، فيسبح حتى يلاصق السفينة، وعلى رأسه وعاء من القصب تسمى قويصرة، و الراكب لا يفطن له، فيسلب الرجل المتعامى الشىء الذى مع الراكب فيلقيه إلى السابح فيأخذه هذا ويعود إلى الشط. وهذا اللص يعمل ضمن خلية منظمة تكون فيها السلطة لرئيس، وكانوا يحترمون التقاليد التى تنظم علاقتهم داخل الخلية. وكان اللص يدخل الخلية دون استئذان ويختاز إلى غرفة فيها أوتاد وبوارى، وعلى كل وتد إزار ومئزر، ثم ينزع ثيابه ويعلقها على أحد الأوتاد ويتزر بالمئزر ويتشح بالإزار ويجلس. ثم يجىء الآخرون فيفعلون مثل فعل زميلهم إلى أن يتكاملوا، ثم يأتون بطعام يأكلونه بطريقة خاصة، ويتناولون أقداحاً يسيرة من النبيذ، ثم يأخذ أحدهم قدحاً كبيراً ويشرب نخب زعيم اللصوص أو من يكرمونه، وكانوا يخصصون يوماً يقتسمون فيه ما سلبوه (١٤٦) .

وخير ما نختتم به هذه الحيل الطريفة الرائعة للصوص سرقة خاتم الخليفة العباسى المتقى لله ويصور التنوخى هذا الخاتم إذ يقول : "وجعلت يدى مقابلة للشمس وأريته الخاتم – رئيس اللصوص – وأقمت فصه فى شعاع الشمس، فكاد

يخطف بصره ورأى ما لم يكن يراه، فهاله وقال لى : استره وقل لى خبره، قلت : هذا خاتم الخلافة، وهذا الفص منه ياقوت أحمر وهو الذى يتداوله الخلفاء منذ العهد الطويل، ويعرف بالجبل ولا يقوم أمر الخلافة إلا به، وكان مخبوءاً ببغداد فأمرنى الخليفة أن أحمله فى جملة ما حملته ' حيث حصل عندك، فالرأى أن ....تخفى حصول الخاتم معك، وإنى إذا حصلت بحضرة الخليفة وعرفته الخبر جاءتك رسله بالرغائب حتى يرتجعه بأى ثمن" (١٤٧) .

ب) أدب العوام

تجدر الإشارة إلى أن اللصوص والفتيان كانوا أول من ردد قصص مغامراتهم وبطولاتهم فى أشعارهم وأخبارهم ولطالما تغنوا بها فى فخر وإعجاب، بل إن المستضعفين الذين لم تواتهم الشجاعة الشجاعة كى يتصعلكوا مثلهم' سوف يحلو لهم أن يرددوا حكايات الصعاليك. وفى هذا المقام نذكر أن عمران بن شاهين الذى وصفه مسكويه بأنه "أذل الجبابرة وأرباب الدول وطواهم أولاً بأول" (١٤٨). كانت له كثير من هذه الحكايات التى ذاعت بين أصحابه وأهل العراق؛ ولها دلالاتها السياسية والإجتماعية، مثال ذلك حكايته مع السلطان البويهى بختيار، برفضه زى الأمراء الذى أرسله بختيار متوداً إليه، وامتنع عن عن تزويج ابنته لبختيار، بل تعدى الأمر إلى إرسال رسالة إلى بختيار يقول فيها "ينبغى أن تتوفر وتتزن ولا تستعمل هذه الخفة والنزق، فقد قصدتنى محارباً لى فرجعت منهزماً وقصدتُ الأهواز فرجعت منهزماً على هذه الحال والصورة من الفتنة، أنا أعلم أن أمرك سيأدّى إلى أن تجيئنى وتلوذ بى، وتحصل عندى وسأذكرك هذا وتعلم حينئذ أنى أعاملك بالجميل، وبخلاف ما عاملتنى به انت وأبوك قبلك. فتعجب الناس من كلام عمران هذا المقدور، الكائن، فإن الحال ببختيار آلت إلي المصير إليه والحصول عنده مستجيراً به ومستندماً"(١٤٩). أذا

وضعنا فى الإعتبار أن راوى هذه القصة مسكويه المعاصر لعمران، عرفنا إلى أى مدى مروءة ابن شاهين، وإحترامه للقيم الإنسانية، و نظرته الثاقبة للأحداث السياسية والعسكرية ؛ و أن ندرك سر إعجاب أصحابه به، ومدى تعاطفهم معه، ضد بختيار ورجال دولته الذين أرادوا السيطرة على مقدرات البطيحة. ويبرز هذا النص أنه كان على جانب من الثقافة الأدبية.

يستشف من المصادر أن عمران بن شاهين كان مهتماً بالشعر والشعراء، كما كان ابنه أبو الهيجاء أديباً وابنه الحسن مولعاً بالشعر، واهتم بالشعر فقد مدحه الشاعر سيدوك (ت ٣٧١ هـ / ٩٧٣م) (١٥٠) إذ يقول :

تسبى النفوس حراب ما أدرت بها كأنهـا المنيـة إلا رحت ذا طرب

تظـل من فضـة حتى إذا وردت أصدرتها من دم الأبطـال من ذهب

من كل مقلية الجبين ماضيـة قدت من الشمس أو قدت من الذهب(١٥١).

كان طبيعياً أن يبرز عدد من الشعراء والأدباء أمثال هبة الله بن عيسى كاتب عمران بن شاهين، و وأحمد بن على بن الحسن البتى (ت ٤٠٣ هـ/ ١٠١٢م) وكان شاعراً ومحدثاً وأديباً، كما أنه كتب للخليفة القادر بالله عندما كان مقيماً فى البطائح سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ م، ومن شعره :

أظن بليلى وهى غير سخية تبخل ليلى بالهوى وأجود

وأعزل فى ليلى ولست بهنة واعلم أنى مخطىء واعود(١٥٢).

أما مرجى بن تباه فيعد من أبرز الشعراء الذين إشتهروا بشعر الهجاء، إذ كان لسانه صارماً فهجا مهذب الدولة ابن أخته إذ يقول :

ولا تتمنى خيراً لابن أخت ولو الفتية برأ وصولاً

فإنى كنت أول من تمنى له عزاً فعاد به ذليلاً (١٥٣).

كذلك ظهر فى البطيحة شعر الشكوى والحنين، ومن أبرز هؤلاء فى هذا المجال أمير البطائح مهذب الدولة إذ يقول :

دهرى بالحادثات يرشقنى حتى كـأنى لنبله هدف

ما أنعم الجاهل الغبى وما أشقى رجالاً بالدهر قد عرفوا(١٥٤).

كما فرضت بيئة البطائح على الشعراء ما يجول بخاطرهم فظهر شعر الوصف؛ قال أحد الشعراء فى الأقلام الواسطية الذى يصنع من القصب بعد تجفيفه (١٥٥):

قد بعثنا بها رشاقاً رقاماً كالقنا لدونه وإستواء

قطعت عند طلوع (سهيل) إذ وجدنا طيباً لحلو الهواء

لم تغادر حتى تجف ولكن قطعوها فيها بغية ماء

من قصار ومن طوال تضاهى فى تمام أصابع العذراء

تركت بعضها كما خلق الله وبعضاً منه بالحناء

فأبرها، ثمت إسقها النفس واكتب بسواد منه على بيضاء(١٥٦).

كما وصف الشاعر عمر بن الحسن الباسيسى حشرة الجرادة التى توجد فى البطائح إذ يقول:

وطائرة من الشجر ترى فى البدو والحضر

إذا ما رجلها إنقطعت أتت رجل على الأثر

وإن وردت إلى بلد فما للورد من أثر (١٥٧) .

برز بعض المتصوفين فى البطائح مثل الشيخ منصور البطائحى الذى ولد فى قرية يقال لها أم عبيدة (١٥٨). أما ابن أخته الشيخ أحمد الرفاعى، فقد وصف بأنه كان متواضعاً، راعياً الطبقات الفقيرة، فكان يحمل الحطب للأرامل والمساكين ويستسقى لهم الماء ؛ وقد إنضم إليه جمع من الفقراء يقال لهم الأحمدية، نسبة إليه والبطاحية (١٥٩). ويذكر الشعرانى أنه كان جلداً صبوراً على المكاره ومعيناً للفقراء. أما من حيث أراءه التربوية، فنشير هنا إلى رأيه بضرورة ثبات الرجل على الرأى الصواب، فقد وصف الرجل المتمكن أنه "هو الذى لو نصب له سنان على أعلى جبل وهبت الرياح ما غيرته"(١٦٠). وكذلك يقول: "الفقراء أشرف الناس، لأن الفقر لباس المرسلين، وجلباب الصالحين، وتاج المتقين، وغنيمة العارفين، ومنية المرادين، ورضا رب العالمين" (١٦١) .

من الجدير بالذكر، أن هؤلاء الشيوخ هم أبناء طبقة فقيرة أفرزتها ظروف إقتصادية وإجتماعية صعبة، ويؤكد الغايات السياسية والإقتصادية والإجتماعية التى توارت خلفها الطرق الصوفية فى البطائح. ومن ثم وجدت صدى واقعياً من الطبقات الفقيرة التى احتفت بهؤلاء المتصوفة، ومن هنا يكمن سر إعجاب العامة، وكل الفقراء بهم، تجسيماً لجانب من جوانب الشخصية البطائحية فى مقابل الذين ضيقوا عليهم الخناق فى مسلك الحياة. ولعل خير دليل نقدمه هنا على تداخل الصوفية والصعاليك، تلك الرواية التى ساقها الشعرانى إذ يذكر أن الشيخ أحمد الرفاعى إذا قام واعظاً فى قريته "أم عبيدة" كان أهل القرى التى حولها يجلسون على سطوحهم يسمعون صوته ويعرفون جميع ما يتحدث به (١٦٢).

أوثر أن أشير هنا إلى رواية أخرى للشعرانى لا تؤكد ما ذهبنا إليه فحسب، بل تشير إلى أن بعض الشطار كانوا من أصحاب الطرق الصوفية، إذ يذكر أن أبا بكر بن هوار البطائحى كان فى بداية حياته من اللصوص الشطار الذين راحوا

يقطعون الطرق وينهبون الأموال. ثم تاب وإرتقى إلى مصاف أصحاب الطرق الصوفية(١٦٣).

خلاصة القول: أن قيام إمارة عمران بن شاهين كانت تعبيراً عن رد فعل ثورى لطبقة العوام إزاء سياسات السلطة البويهية الجائرة ؛ بما يشى بطبيعة الصراع الطبقى على الصعيدين الإجتماعى؛ ومن ثم السياسى .

الهوامش

(١)ابن الطقطقى: الفخرى فى الآداب السلطانية، منشورات دار صادر، بيروت ١٩٦٠ م، ص ٢٣٧.

(٢)ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، دار الكتاب العربى. بيروت ١٩٨٦م، م٦، ص ١١٩، ١٢٠.

(٣)ابن الطقطقى : المصدر السابق، ص ٢٤٠ ؛ ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية . بيروت (د – ت)، ج ١٣، ص ٣٠٥، ٣٦٦، ج ١٤، ص ١٧.

(٤)الجاحظ : رسائل الجاحظ، تحقيق محمد طه الحاجرى، دار النهضة العربية . بيروت (د – ت)، ص ٦١؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٢٢١ ؛ الذهبى: العبر فى خبر من غبر، تحقيق فؤاد رشيد وصلاح الدين المنجد، الكويت ١٩٦٠-١٩٦٣ م، ج٢، ص ٨، ٣٤ ؛ الجوزى : المصدر السابق، ج١٤، ص ٨٢، ٣٠٥ .

(٥)ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤٣ ؛ الذهبى: المصدر السابق، ص ١٤؛ عبد العزيز الدورى: دراسات فى العصور العباسية المتأخرة، مطبعة السريان، بغداد ١٩٤٥ م، ص ٢٠٨؛ Bowen, Harold: The Life and the Times of Ali Ibn ISA, The Good Vizir, Cambridge, 1928 pp. 3-6.

(٦)ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٢٣٨؛ ابن الجوزى: المصدر السابق، ج١٣، ص ٣٣٦، ج١٤، ص ١٧.

(٧)الصابى: كتاب الوزراء أو تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٨ م، ص ٧٥ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق، ص ٢٣٨ .

(٨)ابن الطقطقى: المصدر السابق، ص ٢٨٠؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٢٥٤، ٢٥٥؛ السيوطى: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة التجارية . القاهرة ١٩٦٩ م، ج٦، ص ٢٥٤، ٢٦٤.

(٩)محمود اسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامى "طور الإزدهار"، دار سينا للنشر، القاهرة ٢٠٠٠ م، ص ٣٣، ٦٣.

(١٠)ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٢٥٤؛ ابن الجوزى: المصدر السابق، ج١٣، ص ٣٦٦، ٣٦٧؛ حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامى فى العصر العباسى، دار الفكر العربى، ١٩٦٦م، ص ٣٦٧.

(١١)مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق سيد كسروى حسن، دار الكتب العلمية. بيروت ٢٠٠٣ م، ج٥، ص ٢٧٥؛ ابن الجوزى: المصدر السابق، ج ١٣، ص ٣٤١؛ الذهبى: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٦؛ عبد العزيز الدورى: تاريخ العراق الإقتصادى فى القرن الرابع الهجرى، دار المشرق. بيروت ١٩٧٤م، ص ١٨٧؛ حسام قوام السامرائى: المؤسسات الإدارية فى الدولة العباسية، دار الفتح، دمشق ١٩٧١ م، ص ٢٢٤.

(١٢)محمود اسماعيل: المهمشون فى التاريخ الإسلامى، دار رؤية للنشر. القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٦٥، ٦٦.

(١٣)مسكويه: المصدر السابق، ص ٢٧٥ .

(١٤)مسكويه: المصدر السابق، ص ٢٧٤ – ٢٨٠، ٣٠٢، ٤٠٧، ٤٥٢؛ ابن الأثير، المصدر السابق، م ٨، ص ٧١ .

(١٥)مسكويه: المصدر السابق، ص ١٨، ٤٠، ٢٨٣؛ الصابى: المصدر السابق، ص ٣٤٨، ٣٤٩؛ محمود اسماعيل: سوسيولوجيا، ص ٢٧ .

(١٦)الصابى: الوزراء، ص ١٢٧، ١٣٣، ٢٠٣، ٢٠٤.

(١٧)مسكويه: المصدر السابق، ص ٢٨٣؛ محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص ٣٣، ٦٧، ١١٧ .

(١٨)مسكويه: المصدر السابق، ص ٢٨١.

(١٩)نفس المصدر، ص ٣٥٤، ٣٩٢، ٣٩٥، ٤٠٠– ٤٠٥؛ محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص ١١٨ .

(٢٠)مسكويه: المصدر السابق، ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢١)نفس المصدر: ص ٢٨٢؛ محمود اسماعيل، المرجع السابق، ص ٣٦ .

(٢٢)مسكويه: المصدر السابق، ص ٢٨١، ٣١٩، ٣٢٠؛ الذهبى: العبر، ج٢، ص ٣٥، ٤٤ – ٤٦؛ الجوزى: المنتظم، ج١٣، ص ١٣٣ ١٤١، ٢١١، ٢١٨، ٣٥٧، ج ١٤، ص ٦، ١٩، ٢٧، ٤٧، ٥٤، ٧٢، ١٠٤، ١١٤، ١٩٦.

(٢٣)مسكويه: المصدر السابق، ص ٢٧٤ – ٢٦٧؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٢٨٤؛ البيرونى: الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق ادوارد سخاو، ليبزغ ١٩٢٣ م، ص ٣٠، ٣١؛ عبد العزيز الدورى: تاريخ العراق الإقتصادى، ص ١٩٧؛ عباس العزاوى: تاريخ الضرائب العراقية، شركة التجارة والطباعة، بغداد ١٩٥٩ م، ص ٢٦ .

(٢٤)ابن الأثير: المصدر السابق : ص ٣١٧ .

(٢٥)مسكويه: المصدر السابق، ص ٣٥٤ .

(٢٦)نفس المصدر والصفحة.

(٢٧)نفس المصدر: ص ٣٩٢ .

(٢٨)ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٣٥٩ .

(٢٩)المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩١م، ص ٤٤٩.

(٣٠)مسكويه: المصدر السابق، ص ٤١٤ .

(٣١)الصابى: المصدر السابق، ص ٢١٤، ٢٦٢. المناديل الدبقية منسوبة إلى دبقا، وهى قرية مصرية مشهورة بجودة منسوجاتها. انظر، ياقوت الحموى: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، م٢، ص ٤٣٧ .

(٣٢)مسكويه: المصدر السابق، ص ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٩٢، ٣٢٣، ٣٩٣، ٣٩٥ .

(٣٣)نفس المصدر: ص ٢٨٢ .

(٣٤)الصابى: المصدر السابق، ص ١٣٣ .

(٣٥)مسكويه: المصدر السابق، ص ٢٨٥ .

(٣٦)الصابى: الوزراء، ص ١٣٧؛ الروذراورى، ذيل تجارب الأمم، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣ م، ج٦، ص ٩٧؛ اخوان الصفاء: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، دار صادر، بيروت ١٩٨٣ م، ج١، ص ٢٨٠، ٢٩٠.

(٣٧)مسكويه: المصدر السابق، ص ٢٨٣.

(٣٨)الصابى: المصدر السابق، ١٢٢.

(٣٩)الجاحظ: كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦٥م، ج١، ص ٤٣، ٤٤، ٣٠٢، ٣٠٣؛ ابن مسكويه، المصدر السابق، ص ٢٧٥؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦، ٢٨٤ .

(٤٠)الذهبى: العبر، ج٢، ص ٣٥؛ الجوزى: المنتظم، ج ١٤، ص ٣٤، ٤٩، ٧٢ .

(٤١)مسكويه: المصدر السابق، ص ٢٦٣؛ محمود اسماعيل: سوسيولوجيا، ص ٨٧ .

(٤٢)التوحيدى: الإمتاع والمؤانسة، تصحيح أحمد الزين وأحمد أمين، مطبعة لجنة الترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٩ م، ج٣، ص ٣٨١؛ مسكويه، المصدر السابق، ص ٢٦٣ .

(٤٣)الجوزى: المصدر السابق، ص ٤٢، ٤٩ .

(٤٤)الذهبى: المصدر السابق، ص ١٦٣ .

(٤٥)الاصطخرى: مسالك الممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، القاهرة، ص ٥٧؛ البكرى: معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقى، القاهرة ١٩٤٥م، ص ٢٥٩؛ المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ١١٩؛ M. Streck and - Saleh al – Ali "Al –Batiha" The Encyelopaedia of Islam, (2) (London 1960) Vol. (1) p. 1043; Buringh. Hilla. Diwniya, Drainage studies, Ministry of Agriculture (Baghad; 1959) , p.33.

(٤٦)ابن رسته: الأعلاق النفيسة، ص ٩٧؛ فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها فى النظام المترى، ترجمة عن الألمانية د/ كامل العلى، عمان ١٩٧٠ م، ص ٩٤، الفرسخ ٣ ميل، الميل ٤٠٠ ذراع؛ انظر كذلك، حيدر شامان الصافى: تاريخ الأهوار العراقية، بغداد، ٢٠٠٨ م، ص ٣.

(٤٧)قدامة بن جعفر: الخراج وصنعة الكتابة، شرح وتعليق د. محمد حسين الزبيدى، بغداد ١٩٨١ م، ص ١٨٠، ١٨١؛ القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة ١٩١٩ م، ج٣، ص ٢٤٨.

(٤٨)المسعودى: التنبيه والإشراف، دار التراث، بيروت ١٩٦٨م، ص ٥١ .

(٤٩)البلاذرى: فتوح البلدان، تحقيق عبد الله انيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت ١٩٨٧، ص ٤١٠؛ المسعودى: مروج الذهب، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، دار السعادة، مصر ١٩٦٤م، ص ٩٨، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥؛ اليعقوبى: البلدان، ص٣٢٣. ابن الجوزى: صفة الصفوة، ص٣٨٢؛ القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت ١٩٦٠، ص٢٥. يذكر سهراب أن نهر دجلة كان يرتبط بالبطائح عند قرية القطر ثم يمر بأربعة أهوار أولها هور بحصى، وبعدها زقاق قصب نابت ثم هور بكمص وبعده زقاق قصب ثم هور بصرياثا وبعده زقاق قصب نابت ثم هور المحمدية ثم يأتى نهر أبو أسد، وهذا يعنى أن القطر هو موضع بداية البطائح. انظر، سهراب: عجائب الأقاليم السبعة، مطبعة أدولف هولز هوزن، فينا، ١٩٢٩م، ص ١٣٥؛

G. Le Strannge, The Lands of the Eastern Caliphate, 34d. ed. (London: Frank Cass, 1966) p. 26.

(٥٠)البلاذرى: المصدر السابق، ص ٤١٠- ٤١٣؛ ياقوت: معجم البلدان، ص ٤٥٠، ٤٥١؛ المسعودى: مروج الذهب، ج١، ص١٠٤؛ Samurrai, H.K.: Agriculture in Iraq during the 3rd Century A.H., BERUT, 1972, Librairie du Liban, P 105.

(٥١)الروذراورى: ذيل تجارب الأمم، ج٦، ص ١٢٤ ، ١٦٤؛ البلاذرى: المصدر السابق، ص ٤١٢، ٤١٣؛ أبو الفدا: تقويم البلدان، باريس ١٨٩٠م، ص ٣٠٥؛ البغدادى: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، حلب ١٩٥٤ م، ص ٨٤٩.

(٥٢)الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٠ م، ج٨، ص ٥٤٨؛ المسعودى: مروج الذهب، ج١، ص ١٠٥؛ ج٤، ص ١٩٠؛ سهراب: عجائب الأقاليم، ص ١٢٩.

(٥٣)قدامة بن جعفر: الخراج، ص ١٢٩؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى فى العصر العباسى الثانى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٤م، ج٣، ص ٥٣، ٥٤.

(٥٤)الصابى: المصدر السابق، ص ٤٥٥؛ المقدسى: المصدر السابق، ص ١١٨، ١١٩ .

(٥٥)مسكويه: المصدر السابق، ج٥، ص ٤٤٩؛ البكرى: معجم ما استعجم، ج٢، ص ٨٩١؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ١٥٣؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٢، ٩٥.

(٥٦)قدامه: المصدر السابق، ص ١٦٩، الطبرى: تاريخ، ج٩، ص ٥٣٧ .؛ البلاذرى: المصدر السابق، ص ٤١١.

(٥٧)الأصبهانى: خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق محمد بهجت الأثرى، وزارة الأعلام، بغداد ١٩٧٢م، ج٢، ص ٩٠؛ ماجد محمد: الحويرزة، بغداد ١٩٦٨ م، ص ١٦ -١٨؛ ابن بطوطة: تحفة النظار فى غرائب الأمصار، تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، القاهرة ١٩٦٤، ص ١١٨.

(٥٨)الروذراورى: المصدر السابق، ص ١٦٤؛ ابن رسته: المصدر السابق، ص ٩٨؛ المقدسى: المصدر السابق، ص ١١٩؛ حسن الخياط: جغرافية أهوار ومستنقعات جنوب العراق، المطبعة العالمية، القاهرة ١٩٧٥ م، ص ١٠٤ .

(٥٩)ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٩٣؛ حيدر شامان، المرجع السابق، ص ٣ .

(٦٠)ابن رسته: المصدر السابق، ص ٩٤؛ دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة العربية، ج١٠، ص ٦٩٣.

(٦١)ابن رسته: المصدر السابق، ص ١٠٥ .

(٦٢)المقدسى: المصدر السابق، ص ١١٩؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٦٧ م ج٢، ص ٣٤٦.

(٦٣)مسكويه: المصدر السابق، ج٥، ص ٢٩٢؛ التنوخى: الفرج بعد الشدة، منشورات مكتبة الخانجى، القاهرة ١٩٩٤م، ج١، ص ٤٣؛ ابن خلدون: تاريخ، تحقيق عبادة كحيلة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٧ م، ج ٣، ص ٤٢٣ .

(٦٤)مسكويه: نفس المصدر والصفحة؛ محمد رجب النجار: الشطار والعيارون، عالم المعرفة، الكويت ١٩٨١م، العدد ٤٥، ص ٦٧- ٧٠؛ محمود اسماعيل: المهمشون فى التاريخ الإسلامى، ص ١٠٦ – ١٠٧ .

(٦٥)مسكويه، المصدر السابق، ص ٢٦٤؛ الهمذانى: تكملة تاريخ الطبرى، تحقيق البرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦١ م، ج١، ص ١٦٢؛ خير الدين الزركلى: الأعلام، القاهرة ١٩٢٧ م، ج٢، ص ٧٢٦؛ مجهول: العيون والحدائق، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود، مطبعة النعمان، النجف ١٩٧٢ م، ومطبعة الإرشاد – بغداد ١٩٧٣ م، ص ١٩٠.

(٦٦)مسكويه: المصدر السابق، ج٤، ص ٣٣٧، ج٥، ص ٤٢٣، ٤٢٨، ٤٥٢؛ مجهول: المصدر السابق، ص ١٨٩؛ محمد رجب النجار: المرجع السابق، ص ٣٠– ٣٣: محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص ١١٤، ١١٥.

(٦٧)مسكويه: المصدر السابق، ص ٢٧٦؛ ابن الأثير: الكامل، م٦، ص ٣٢٥؛ الذهبى: العبر، ج٢، ص ٣٥ –٣٨؛ عبد المنعم محمد حسنين: سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠م، ص ١١، ١٢ ؛

Kabir, The Buwayhid Dynasty of Baghdad (Calcatta, 1967) p. 14.

(٦٨)ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٣٣١؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٣، ص ٤٢٣ .

(٦٩)مسكويه: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٩٢؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ص ٣٣١.

(٧٠)مسكويه: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٩٣ .

(٧١)مسكويه: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٩٥؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٣٣٤

(٧٢)مسكويه: المصدر السابق، ص ٢٩٧؛ الهمذانى: تكملة، ج١، ص ١٦٢ .

(٧٣)مسكويه: نفس المصدر والصفحة؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٢٣٦ .

(٧٤)مسكويه: المصدر السابق، ص ٢٩٧.

(٧٥) نفس المصدر والصفحة .

(٧٦)نفس المصدر والصفحة؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٣٣٦ .

(٧٧)مسكويه: المصدر السابق، ص ٢٩٨؛ الهمذانى: تكملة، ج١، ص ١٦٤؛ Naji, Barsa, P. 1

(٧٨)مسكويه: المصدر السابق، ص ٢٩٨، ٣٠٥؛ مجهول: المصدر السابق، ص ١٩١؛ عبد القادر المعاضيدى: واسط فى العصر العباسى، بغداد ١٩٨٣م، ص ٥٥، ٥٦؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٣٣٧.

(٧٩)مسكويه: المصدر السابق، ص ٣١٤.

(٨٠)نفس المصدر والصفحة؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٣٤٧، ٣٤٨.

(٨١)مسكويه: المصدر السابق، ص ٣١٥؛ الصابى: رسائل الصابى، تحقيق محمد يوسف نجم، ص ٥٣؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٣٤٩، ٣٥٠.

(٨٢)الصابى: نفس المصدر والصفحة؛ Kabir , The Buwayhid , P. 11-12.

(٨٣)مسكويه: المصدر السابق، ص ٣٢٧.

(٨٤)نفس المصدر: ص ٣٣٢.

(٨٥)ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٣٥٣ – ٣٥٥.

(٨٦)مسكويه: المصدر السابق، ص ٣٤٤، ٣٤٥.

(٨٧)نفس المصدر : ص ٣٥١ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق، ص ٣٤٧، ٣٤٨، م٧، ص ٢١، ٢٢ .

(٨٨)مسكويه: المصدر السابق، ص ٣٥١؛ ابن الأثير: المصدر السابق، م٧، ص ٢٢؛ الهمذانى: تكملة، ج١، ص ١٩٦ .

(٨٩)مسكويه: المصدر السابق، ص ٣٨٠ .

(٩٠)مسكويه: المصدر السابق، ص ٣٨٠؛ الهمذانى: المصدر السابق، ص ٢٠٩ .

(٩١)مسكويه: المصدر السابق، ص ٣٨٤ –٣٨٦؛ ابن الأثير: المصدر السابق ،م ٧، ص ٣٩.

(٩٢)الهمذانى: المصدر السابق، ص ٤٢٦.

(٩٣)مسكويه: المصدر السابق، ص ٣٨٦، ٣٨٧ .

(٩٤)المصدر السابق، ج٤، ص ٣٣٧ .

(٩٥)المصدر السابق، ج٥، ص ٣٨٧.

(٩٦)مسكويه: المصدر السابق، ج٥، ص ٣٨٧ .

(٩٧)ابن الأثير: المصدر السابق، م٧، ص ٤٠؛ الهمذانى: المصدر السابق، ص ٤٢٨ .

(٩٨)مسكويه: المصدر السابق، ص ٣٩٠-٤٠٧؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٥٢، ٥٣ .

(٩٩)مسكويه: المصدر السابق: ص ٤٠٦؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٥٦ .

(١٠٠)مسكويه: المصدر السابق، ص ٤٠٦؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٥٩ .

(١٠١)مسكويه: المصدر السابق، ص ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٥، ٤٠٩ – ٤١١؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٥٩؛ التوحيدى: الإمتاع والمؤانسة، ص ٣٨١، ٣٨٢؛ التنوخى: المصدر السابق، ج١، ص ٣٧، ٣٨، ٤٠؛ محمد رجب النجار: المرجع السابق، ص ٦٠ – ٦٢.

(١٠٢)مسكويه: المصدر السابق، ص ٣٩٥، ٣٩٦ .

(١٠٣)مسكويه: المصدر السابق، ص ٤٠٤.

(١٠٤)الصابى: رسائل، ص ٣٧ – ٤٠؛ الهمذانى: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٢١ .

(١٠٥)مسكويه: المصدر السابق، ص ٤١٤، ٤١٦ – ٤١٩؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٦٠.

(١٠٦)مسكويه: المصدر السابق، ص ٤٢٠ .

(١٠٧)نفس المصدر: ص ٤٢٦ .

(١٠٨)الهمذانى: المصدر السابق، ص ٤٥٢ .

(١٠٩)مسكويه: المصدر السابق، ص ٤١٤، ٤٢٧، ٤٢٨؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٨١ .

(١١٠)مسكويه: المصدر السابق، ص ٤٢١، ٤٢٨، ٤٢٩ .

(١١١)مسكويه: المصدر السابق: ص ٤٢٩؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٨١؛ الهمذانى: المصدر السابق، ص ٤٥٥ .

(١١٢)مسكويه: المصدر السابق، ص ٤٢٩، ٤٣٦- ٤٤٣؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٩٠ -٩٢؛ ابن الجوزى، المنتظم، ج٧، ص ٦١؛ حسن ابراهيم حسن: المرجع السابق، ص ٤٩.

(١١٣)مسكويه: المصدر السابق، ص ٤٤٤.

(١١٤)نفس المصدر، ص ٤٤٩؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٩٢ - ٩٨؛ محمود اسماعيل: سوسيولوجيا، ص ١٥٨-١٦٠؛ فيصل السامرى: الدولة الحمدانية فى الموصل وحلب، ص ٢٨١ .

(١١٥)مسكويه: المصدر السابق، ص ٤٤٩ .

(١١٦)نفس المصدر والصفحة؛ الصابى: رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، بغداد ١٩٦٤ م، ص ٢٦ .

(١١٧)مسكويه: المصدر السابق، ص ٤٥٠؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٩٩ .

(١١٨)مسكويه: نفس المصدر والصفحة؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٩٨، ٩٩ .

(١١٩)مسكويه: المصدر السابق، ص ٤٥١ .

(١٢٠)نفس المصدر: ص ٤٥٢؛ المطارة قرية من قرى البصرة تقع على ضفة دجلة والفرات فى ملتقاهما بين المَذّار والبصرة، انظر، ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٥، ص ١٤٧.

(١٢١)مسكويه: المصدر السابق، ص ٤٥٢ .

(١٢٢)الروذراورى: ذيل تجارب الأمم، ج٦ ، ص ٥٢ .

(١٢٣)نفس المصدر والصفحة؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، القاهرة ١٩٢٩ م، ج٤، ص ١٤١ .

(١٢٤)ابن الأثير: المصدر السابق، ص ١١٦ .

(١٢٥)الروذراورى: المصدر السابق ، ص ٥٣-٥٦؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص ١١٩ .

(١٢٦)الروذراورى: المصدر السابق، ص ٥٦.

(١٢٧)ابن الأثير: المصدر السابق، ص ١١٩؛ أبو الفداء: المختصر فى أخبار البشر، بيروت ١٩٥٦م، ج٢، ص ١٣٤ .

(١٢٨)الروذراورى: المصدر السابق، ص ٥٦، ٥٧؛ ابن الوردى: تتمة المختصر فى أخبار البشر، القاهرة ١٢٨٥هـ ، ج ١، ص ٤٢٣ .

(١٢٩)الروذراورى: المصدر السابق، ص ٥٧؛ ابن الأثير، نفس المصدر والصفحة.

(١٣٠)الروذراورى: المصدر السابق، ص ٨٢.

(١٣١)مسكويه :المصدر السابق، ص ٤١٦؛ الروذراورى: المصدر السابق، ص ١٥٦ .

(١٣٢)مسكويه: المصدر السابق، ص ٤٤٤ .

(١٣٣)نفس المصدر: ص ٤٥٢؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ص ١١٦ .

(١٣٤)الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، تحقيق د. أحمد مطلوب ود. أحمد ناجى القيسى، نشر دار الكتاب، بيروت "د-ت"، ج١٢، ص ٧٧؛ التنوخى: الفرج بعد الشدة، منشورات مكتبة الخانجى، القاهرة ١٩٩٤م، ج١، ص ١٧٣، ١٧٤ .

(١٣٥)الروذراورى: المصدر السابق، ص٨٣ .

(١٣٦)نفس المصدر: ص ١٧٧؛ محمود اسماعيل: المهمشون، ص ٤٠ .

(١٣٧)مسكويه: المصدر السابق، ص ٤٢٨ .

(١٣٨) تدل كلمة الكدية على المنع والشدة والصلابة والإلحاح فى الفقر، وقد تباين أساليب المكدين واختلاف طرق احتيالهم وطبيعة حياتهم، لمزيد من التفصيل، راجع؛ الجاحظ: البخلاء، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت – لبنان ١٩٩٤ م، ص ٤٤-٥١.؛ أحمد حسين: أدب الكدية فى العصر العباسى، نشر وزارة الثقافة، دمشق ٢٠١١ م، ص ١٦؛ نجاح هادى كبة: أدب الكدية، مجلة الثقافة الجديدة العدد ٣٦٧، العراق ٢٠١٤م، ص٩؛ Sourdel, Dominique; La Civilisation de l' Islam Classique, Paris, 1968. pp. 266-269

(١٣٩) الراغب الأصفهانى: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء، بيروت، دار الحياة، (د-ت) ج٢، ص ١٨٩؛ محمد رجب النجار: الشطار والعيارين، ص ٣٨ .

(١٤٠)التنوخى: الفرج بعد الشدة، ج١، ص ٣٣١؛ الهمذانى: "بديع الزمان " مقامات بديع الزمان، تحقيق الشيخ محمد عبده، الطبعة السادسة، بيروت، دار المشرق، (د–ت) ص ١٥٧ وما بعدها.

(١٤١)التنوخى: المصدر السابق، ص ٣٣٢، ٣٣٣ .

(١٤٢)أبو حيان التوحيدى: الإمتاع والمؤانسة، ج٣، ص ١٦١؛ ابن الجوزى: المنتظم، ج١٤، ص ٢٣٥ ؛

Ibn Al – Banna: Autograph Diary of an Eleventh-Century Historian of Baghdad, edited by G. MAKDISI, in bulletin of the School Oriental and African Studies, (B.S.O.A.S.). University of London; 18(1956) pp. 9-31, 239.

(١٤٣)التنوخى: المصدر السابق، ص ٣٤٤، ٣٤٥ .

(١٤٤)نفس المصدر، ص ٣٤٥ .

(١٤٥)الجاحظ: البخلاء، ص ٤٤ – ٤٩ وما بعدها؛ التنوخى: المصدر السابق، ج١، ص ٤١، ١٥٦، ٢٦٥، ٢٧٣، ٢٧٤، ج٨، ص ٢٧٣ .

(146) التنوخى: المصدر السابق، ص ٣٣٩، ٣٤٠؛ محمد رجب النجار، المرجع السابق، ص ٣٧، ١٧٧ ، نشرت هذه الدراسة فى مجلة كلية الآداب والتربية – جامعة الكويت فى العددين الثالث والرابع، يونيو وديسمبر ١٩٧٣، الكويت، ص ١٧٤ – ٢٢٣؛ Creswell K.A.C.: A Short Account of Early Muslim Architecture, Beirut 1968, Librairie du Liban, P. 287.

(١٤٧)التنوخى: المصدر السابق، ص ٣٣٥.

(١٤٨)مسكويه: المصدر السابق، ص ٤٤٤؛ الذهبى: العبر، ج٢، ص ٦٥ .

(١٤٩) مسكويه: المصدر السابق، ص ٤٠٦ .

(١٥٠)التنوخى: المصدر السابق، ص ٤٦٠؛ نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ج٨، ص ١٠٠؛ الثعالبى: يتيمة الدهر، القاهرة ١٩٥٦ م، ج٢، ص ٣٧٣؛ .

(١٥١)التنوخى: نشوار المحاضرة، ص ١٠٠ .

(١٥٢)التنوخى: المصدر السابق، ج١، ص ١٠٠ .

(١٥٣)الأصبهانى: خريدة القصر، ج٤، م٢، ص ٥٣٢ – ٥٤٦ .

(١٥٤)نفس المصدر، ص ٥٣١، ٥٣٢ .

(١٥٥)نفس المصدر، ص ٥٧٩؛ التنوخى: المصدر السابق، ص ٢٩٧، ٣٠٩ .

(١٥٦)الأصبهانى: المصدر السابق، ص ٥٧٩ .

(١٥٧)نفس المصدر، ص ٥٩٥ .

(١٥٨)الذهبى: العبر، ج٤، ص ٢٣٣؛ اليافعى: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج٣، ص ٤٩؛ الصفدى: الوافى بالوفيات، ج٧، ص ٢١٩ .

(١٥٩)السبكى: طبقات الشافعية، ج٦، ص ٢٣، ٢٤؛ اليافعى: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج٣، ص ٤٠٦؛ الذهبى: العبر، ج٤، ص ٢٣٣؛ الصفدى: المصدر السابق، ص ٢١٩؛ ابن العماد: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، منشورات القدس، القاهرة "د-ت"، م ٤، ص ٢٥٩ .

(١٦٠)الشعرانى: لواقح الأنوار فى طبقات الأخيار، المطبعة العامة الشرقية، القاهرة ١٣١٥ هـ ، ج١، ص ١٢٠-١٢٣ .

(١٦١)المصدر السابق، ص ١٢٠ .

(١٦٢)نفس المصدر والصفحة؛ ابن العماد: شذرات الذهب، م٤، ص ٢٦١؛ جولد تسهير أنياس: العقيدة والشريعة فى الإسلام، ترجمة على عبد القادر حسن وآخرون، ط ٢، القاهرلاة ١٩٥٩، ص ١٤٦، ١٤٧ .

(١٦٣)الشعرانى: ص ١١٣ .

مصادر ومراجع البحث

أولاً: المصادر العربية

- ابن الأثير (أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم الشيبانى) "ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م"

-الكامل فى التاريخ، دار الكتاب العربى. بيروت ١٩٨٦ م .

- الأصبهانى (أبو حامد محمد بن محمد القرشى) "ت ٣٦٠هـ/٩٧٠م"

-خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق محمد بهجت الأثرى، وزارة الأعلام، بغداد ١٩٧٢م .

- الاصطخرى (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى)

-مسالك الممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، القاهرة "د-ت" .

- ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتى) "ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م"

-تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، القاهرة ١٩٦٤ .

- البغدادى (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي)

-مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، حلب ١٩٥٤ م .

- البكرى (عبد الله بن عبد العزيز) "ت ٤٨٨هـ/١٠٩٤م"

-معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة ١٩٤٥م.

- البلاذرى (أحمد بن يحيى بن جابر) " ٢٧٩هـ/٨٩٢م"

-فتوح البلدان، تحقيق عبد الله انيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت ١٩٨٧.

- البيرونى (محمد بن أحمد) "ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م"

-الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق ادوارد سخاو، ليبزغ ١٩٢٣ م.

- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف) "ت ٨٧٤هت/١٤٦٩م"

-النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، القاهرة ١٩٢٩-١٩٥٦ م.

- التنوخى (أبو على المحسن بن على) "ت ٣٨٢هـ/٩٩٤م"

-الفرج بعد الشدة، منشورات مكتبة الخانجى، القاهرة ١٩٩٤م .

-نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجى، بيروت ١٩٧١-١٩٧٣م .

- التوحيدى (أبو حيان) "ت ٤١٤هـ/١٠٢٣م"

-الإمتاع والمؤانسة، تصحيح أحمد الزين وأحمد أمين، مطبعة لجنة الترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٩ م .

- الثعالبى (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل) "ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م"

-يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة – القاهرة ١٩٥٦ م.

- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) "ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م"

-البخلاء، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت – لبنان ١٩٩٤ م .

-رسائل الجاحظ، تحقيق محمد طه الحاجرى، دار النهضة العربية. بيروت (د – ت) .

-كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦٥م .

- ابن الجوزى (عبد الرحمن بن على بن محمد) "ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م"

-المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية. بيروت (د. ت).

-صفة الصفوة، حيدر آباد، الدكن ١٣٥٦ هـ.

- الحميرى (محمد بن عبد المنعم) " ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م"

-الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٥ م .

- الخطيب البغدادى (أبو بكر أحمد بن على بن ثابت) "ت ٣٦٤هـ؟١٠٧٠م"

-تاريخ بغداد، تحقيق د. أحمد مطلوب ود. أحمد ناجى القيسى، نشر دار الكتاب، بيروت "د-ت".

- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) "ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م"

-تاريخ ابن خلدون، تحقيق عبادة كحيلة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٧م.

- اخوان الصفاء: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، دار صادر، بيروت ١٩٨٣ م.

- الذهبى (شمس الدين محمد بن أحمد) "ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م"

-العبر فى خبر من غبر، تحقيق فؤاد رشيد وصلاح الدين المنجد، الكويت ١٩٦٠-١٩٦٣م.

- الراغب الأصفهانى (أبو القاسم الحسين بن محمد) "ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م"

-محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء، بيروت، دار الحياة، ١٤٢٠هـ .

- ابن رسته (أبو على أحمد بن عمر) "ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م"

-الأعلاق النفيسة، ليدن ١٨٩٦ م .

- الروذراورى (أبو شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين) "ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م"

-ذيل تجارب الأمم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ٢٠٠٣ م.

- السبكى (تاج الدين عبد الوهاب بن على) "ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م"

-طبقات الشافعية الكبرى، القاهرة ١٩٦٤ م .

- السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن) "ت ٩١١هـ/١٥٠٥م"

-تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة التجارية. القاهرة ١٩٦٩ م.

- الشعرانى (عبد الوهاب): لواقح الأنوار فى طبقات الأخيار، المطبعة العامة الشرقية، القاهرة ١٣١٥ هـ.

- الصابى (أبو الحسن الهلال بن محسن بن زهرون) "ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م"

-رسائل الصابى، تحقيق محمد يوسف نجم، الكويت ١٩٦١ م.

-رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، بغداد ١٩٦٤ م .

-كتاب الوزراء أو تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٨ م .

- الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك) "ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م"

-الوافى بالوفيات، دار صادر، بيروت ١٩٧٢ م. حذف فوات الوفيات

- الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) "ت ٣١٠هـ/٩٢٢م"

-تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة١٩٦٠م.

- ابن الطقطقى (محمد بن على) "ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م"

-الفخرى فى الآداب السلطانية، منشورات دار صادر، بيروت ١٩٦٠ م.

- ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى) "ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م"

-شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، منشورات القدس، القاهرة "د-ت".

- أبو الفدا (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل) "ت٧٣٢هـ/١٣٣١م"

-تقويم البلدان، باريس ١٨٩٠ .

-المختصر فى أخبار البشر، بيروت ١٩٥٦م .

- قدامة بن جعفر "ت ٣٣٧هـ/٩٤٨م"

-الخراج وصنعة الكتابة، شرح وتعليق د. محمد حسين الزبيدى، بغداد ١٩٨١ م.

- القزوينى (زكريا بن محمد) "ت ٦٨٢هـ/١٢٩٣م"

-آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت ١٩٦٠.

- القلقشندى (أبو العباس أحمد) "ت ٨٢١هـ/١٢١٨م"

-صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة ١٩١٩ م.

- مجهول "ت نهاية القرن الرابع الهجرى/العاشر الميلادى"

-العيون والحدائق، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود، مطبعة النعمان، النجف ١٩٧٢ م، ومطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٧٣ م .

- المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين) "ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م"

- التنبيه والإشراف، دار التراث، بيروت ١٩٦٨م.

- مروج الذهب، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، دار السعادة، مصر ١٩٦٤م.

- مسكويه (أبو على أحمد بن محمد) "ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م"

-تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق سيد كسروى حسن، دار الكتب العلمية. بيروت ٢٠٠٣.

- المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله الشافعى) "ت ٣٧٥هـ/٩٨٥"

-أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩١ م.

- الهمذانى (أحمد بن الحسن بن يحي بديع الزمان الهمذاني)

-"بديع الزمان" مقامات بديع الزمان، تحقيق الشيخ محمد عبده، الطبعة السادسة، بيروت، دار المشرق.

- الهمذانى (محمد بن عبد الملك) "ت ٥٢١هـ/١١٢٧م"

-تكملة تاريخ الطبرى، تحقيق البرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت١٩٦١م.

- ابن الوردى (عمر بن مظفر بن عمر) "٧٤٩هـ/١٣٤٩م"

-تتمة المختصر فى أخبار البشر، القاهرة ١٢٨٥هـ .

- اليافعى (أبو عبد الله محمد اليمنى) "ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م"

-مرآة الجنان وعبرة اليقظان، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات ١٩٧٠ م.

- ياقوت الحموى (شهاب الدين ابو عبد الله) "ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م"
-معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٦٥ م .
- اليعقوبى (أحمد بن يعقوب بن واضح) "ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م"
-كتاب البلدان، نشر دى خويه، ليدن، ١٨٩١م .

ثانياً: المراجع العربية والمعربة

- أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامى فى العصر العباسى، دار الفكر العربى، ١٩٦٦م.
- أحمد حسين: أدب الكدية فى العصر العباسى، نشر وزارة الثقافة، دمشق ٢٠١١م.
- آدم متز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٦٧م.
- جولد تسهير أنياس: العقيدة والشريعة فى الإسلام، ترجمة على عبد القادر حسن وآخرون، ط ٢، القاهرة، ١٩٥٩م .
- حسام قوام السامرائى: المؤسسات الإدارية فى الدولة العباسية، دار الفتح، دمشق ١٩٧١م.
- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى فى العصر العباسى الثانى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٤ م.
- حسن الخياط: جغرافية أهوار ومستنقعات جنوب العراق، المطبعة العالمية، القاهرة ١٩٧٥ م .
- حيدر شامان الصافى :، تاريخ الأهوار العراقية، بغداد، ٢٠٠٨ م.
- خير الدين الزركلى: الأعلام، القاهرة ١٩٢٧ م.
- دائرة المعارف الإسلامية، مادة البطيحة، الطبعة العربية، ترجمة أحمد الشنتناوى وآخرون، مصر ١٩٣٣ م .
- سهراب: عجائب الأقاليم السبعة، مطبعة أدولف هولز هوزن، فيينا، ١٩٢٩ م.
- عباس العزاوى: تاريخ الضرائب العراقية، شركة التجارة والطباعة، بغداد ١٩٥٩ م .
- عبد العزيز الدورى:
- تاريخ العراق الإقتصادى فى القرن الرابع الهجرى، دار المشرق. بيروت ١٩٧٤ م.
-دراسات فى العصور العباسية المتأخرة، مطبعة السريان، بغداد ١٩٤٥ م ,
- عبد القادر المعاضيدى: واسط فى العصر العباسى، بغداد ١٩٨٣م.

- عبد المنعم محمد حسنين: سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠م .
- فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها فى النظام المترى، ترجمة عن الألمانية د/ كامل العلى، عمان ١٩٧٠ م.
- فيصل السامرى: الدولة الحمدانية فى الموصل وحلب.
- ماجد محمد: الحويرزة، بغداد ١٩٦٨ م .
- محمد رجب النجار: الشطار والعيارون، عالم المعرفة، الكويت ١٩٨١ م.
- محمود اسماعيل:

-سوسيولوجيا الفكر الإسلامى " طور الإزدهار" دار سينا للنشر، القاهرة ٢٠٠٠ م .

-المهمشون فى التاريخ الإسلامى، دار رؤية للنشر، القاهرة ٢٠٠٤ م .

- نجاح هادى كبة: أدب الكدية، مجلة الثقافة الجديدة العدد ٣٦٧، العراق ٢٠١٤ م .

ثالثاً: المراجع الأجنبية

- Bowen ,Harold: The Life and the Times of Ali Ibn ISA , The Good Vizir , Cambridge , 1928 .
- Buringh. Hilla. Diwniya , Drainage studies , Ministry of Agriculture (Baghad ; 1959).
- Creswell K.A.C.: A Short Account of Early Muslim Architecture, Beirut 1968, Librairie du Liban.
- Heyed: W. " Histoire du Commerce du Levand au Moyen – age " .
- Ibn Al – Banna: Autograph Diary of an Eleventh-Century Historian of Baghdad, edited by G. MAKDISI, in bulletin of the School Oriental and African Studies, (B.S.O.A.S.). University of London.
- Kabir , M .The Buwayhid Dynasty of Baghdad (Calcatta , 1967).
- Le Strannge G. , The Lands of the Eastern Caliphate , 34d. ed. (London: Frank Cass , 1966).
- Naji, Abdul Jabbar , Barsa, P. 165.
- Samurrai, H.K.: Agriculture in Iraq during the 3rd Century A.H. , BERUT, 1972, Librairie du Liban.
- Sourdel , Dominique ; La Civilisation de l' Islam Classique, Paris, 1968 .
- Streck M. and - Saleh al – Ali " Al –Batiha " The Encyelopaedia of Islam , new edition (London 1960).